سلسلة ظهورات

٣

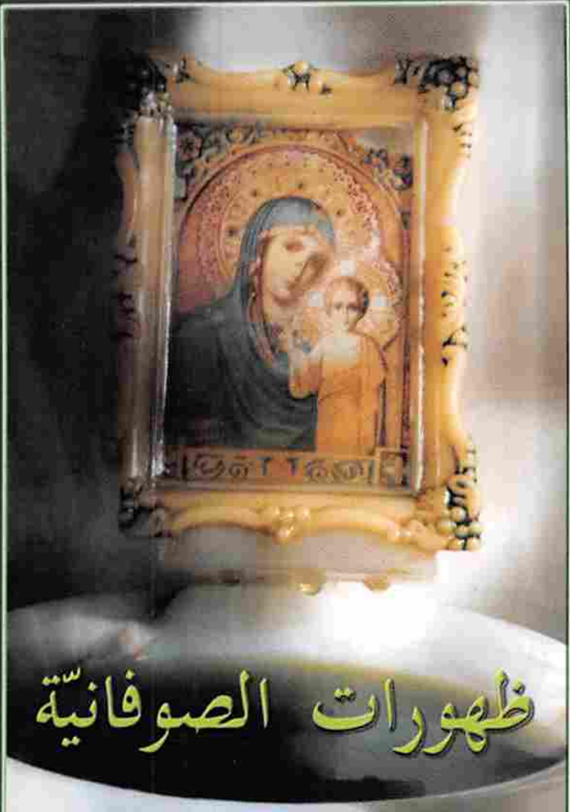

أديب مصلح

٢٠١١

ظهورات الصوفانيّة

طبعة أولى

٢٠١١

*

منشورات المكتبة البولسية

جونيه – شارع القدّيس بولس – ص.ب : ١٢٥
هاتف : ٠٩/٩٣٣٠٥٢ – ٩١١٥٦١ – فاكس : ٠٩/٦٤٣٨٨٦
بيروت – شارع لبنان – هاتف : ٠١/٤٤٨٨٠٦ – تلفاكس : ٠١/٤٤٤٩٧٣
زحلة – شارع سيّدة النجاة – مقابل مطرانيّة الروم الملكيّين الكاثوليك – تلفاكس : ٠٨/٨١٢٨٠٧

سلسلة ظهورات

٣

ظهورات الصوفانيّة

أديب مصلح

٢٠١١

الفهرس

الصوفانيّة	٥
اقحام الأب الياس زحلاوي بالظاهرة	١٥
الجماهير تحتلّ بيت العذراء	١٩
ظهور العذراء الأوّل: ١٥/١٢/١٩٨٢	٢٤
أشفيةٌ وارتداداتٌ	٢٧
الظهور الثاني	٣١
نقل الإيقونة إلى كنيسة الصليب	٤٤

عودة الإيقونة إلى المنزل ٥٢

سمات الصلب ترتسم على ميرنا ٥٨

مدير إذاعة نوتردام الباريسيّة في الصوفانيّة ٦٦

انخطافٌ ورشح زيت بحضور السفير البابويّ ٧٠

١٩٨٤/١١/٢٦: الذكرى السنويّة الثانية ٧٢

شاعرٌ ومرتّلٌ ٧٧

ميرنا في المحافظات السوريّة: انخطافٌ ورسائلُ ٧٩

صحافيّ فرنسيّ يزور الصوفانيّة ٨٢

ليلة الذكرى الثالثة للظاهرة: ١٩٨٥/١١/٢٦ ٨٣

عام ١٩٨٦ ٨٧

عام ١٩٨٧	٩٠
يوم سبت النور ١٨ نيسان ١٩٨٧	٩٤
زيارة الصحافيّ الفرنسيّ كريستيان راڤاز	٩٧
ميرنا في لبنان	٩٨
وتوالى انسكاب الزيت	١٠٠
عام ١٩٨٨	١٠٥
١٩٨٨/١١/٢٦ : ذكرى الظاهرة السادسة	١١٠
عاما ١٩٨٩ و١٩٩٠	١١٢
أسفارٌ رسوليّةٌ وزيتٌ لا ينقطع	١١٩
ميرنا	١٣٠

شهودٌ وأعوانٌ استثنائيّون ١٤٤

رسالة الصوفانيّة ١٤٦

ثمارٌ وآفاقٌ ١٧٥

الصوفانيّة

نيقولا بن موسى نظّور، شابٌّ سوريٌّ ينتمي إلى طائفة الروم الأُورثوذكس، ولكنّه لم يكن يؤمّ الكنيسة إلاّ في المناسبات الاجتماعيّة، للمشاركة بعرسٍ أو بجنازةٍ، وممارساته الدينيّة ممعنةٌ في السطحيّة. كان يقطن مع والدته الأرملة أَليس معقّد نظّور، وأخويه الأكبر عوض، وهو متزوّجٌ وله طفلان، والأَصغر منير، وكان في بدء الظاهرة، عازبًا.

وجميعهم يسكنون في بيتٍ قديمٍ دمشقيّ الطراز، في حيٍّ شعبيّ من منطقة باب توما، بدمشق، التي تسكنها أَغلبيّةٌ مسيحيّةٌ، يُدعى حيّ «الصوفانيّة».

وكان نيقولا قد عمل ستّ سنواتٍ في برلين، بألمانيا، ممتهنًا الحلاقة، وعاد إلى دمشق إثر وفاة والده، وكان ينتظر تأشيرة سفرٍ إلى المملكة السعوديّة كي يعمل فيها.

عام ١٩٨٠ نظّم أَصدقاءُ له رحلةً بالباص إِلى تركيّا وبلغاريا ورومانيا واليونان، وكان مشاركًا فيها أَخوه خليل وزوجته، المتزوّجان حديثًا، وقد حرص منظّم الرحلة على اصطحاب نيقولا للاستفادة من قدراته اللغويّة، فهو يتقن الأَلمانيّة، وله إِلمامٌ جيّدٌ بالإِنكليزيّة والفرنسيّة.

وفي مدينة صوفيا رأى، عند باب كنيسةٍ، صورًا لإِيقونة العذراء، حاملةً يسوع الطفل، وهي نسخةٌ عن إِيقونة سيّدة قازان، تباع بسعرٍ بخسٍ لا يتجاوز ربع دولار للصورة الواحدة. وبما أَنّ ميزانيّته لم تكن تمكّنه من ابتياع هدايا ثمينة للأَقارب والأَصدقاء في دمشق، فقد اشترى عشرًا من تلك الصور، ولدى عودته أَهدى سبعًا منها، واستبقى لنفسه ثلاثًا.

وجديرٌ بالتنويه أَنّ إِيقونة سيّدة قازان العجائبيّة التي جاء نيقولا بنسخٍ صغيرةٍ منها، تحظى بأَعظم تكريمٍ من الشعب الروسيّ، إِذ كانت تعدّ هي الذائدة عن حمى البلاد الروسيّة. وقد اختفت إِبّان الإِعصار البلشفيّ، وبعد أَن اجتازت مسارًا غريبًا، أَعادها البابا يوحنّا بولس الثاني عام ٢٠٠٢ إِلى

بطريرك موسكو، حرصًا من قداسة البابا على توثيق عرى وحدة الكنيسة.

ثمّ سافر نيقولا إلى السعوديّة، وعمل فيها، وجمع ما تيسّر له من مالٍ، وعاد كي يستقرّ في موطنه، وكان يعتزم استثمار مطعمٍ في اللاذقيّة، مشاركًا زوج خالته.

وفي هذه الأثناء تزوّج أخوه الأكبر خليل من لينا الأخرس، وبمناسبة حفلة خطبتهما، لفتت نظره، وحركت أوتار قلبه شقيقة خطيبة أخيه، ميرنا، التي تصغره أكثر من عشرين سنة. وحينذاك، لم تكن فكرة الزواج تستهويه، إذ كان مولعًا بالسهر والعبث، والحياة المتحرّرة من كلّ مسؤوليّةٍ وقيدٍ. ولكن يبدو أنّ مشيئة الله كانت تغاير إرادته. فعقد خطبته على ميرنا، ثمّ تكلّلا في يوم ٩ أيّار ١٩٨٢، وكانت ميرنا، آنذاك، في الثامنة عشرة من العمر. فقد وُلدت في ٣ أيّار ١٩٦٤، وكان يُحتَفَل، في ذلك اليوم، بعيد الفصح لدى الطوائف الأورثوذكسيّة.

حينها لم يكن ذلك الزواج يحظى برضى الأهل، بسبب

فارق السنّ بين الزوجين، ولكنّ العلاقات بين الأهل والعروسين ما لبثت أن استعادت دفأها وحميميّتها.

ميرنا هي ابنة جان قربة الأخرس ونُهى نصّور، واسمها بالمعموديّة ماري، وعائلتها تنتمي إلى طائفة الروم الكاثوليك. لكنّ تديّنها كان سطحيًّا، غير أنّها أسرةٌ متماسكةٌ يسودها الوفاق، وهي مؤلّفةٌ من ثلاث فتياتٍ وصبيّين، وتحتلّ ميرنا منها مكان الوسط، يكبرها أُختٌ وأخٌ، ويصغرها أُختٌ وأخٌ.

أمّا ثقافة ميرنا الدينيّة فكانت ضحلةً، فهي لا تعرف من الدين سوى تلاوة أبانا والسلام، فضلاً عن بعض التراتيم التي كانت مولعةً بإنشادها. ويشهد نيقولا أنّها كانت، آنذاك، «فتاةً عاديّةً جدًّا، وضحوكةً، تحبّ المرح والسباحة والرقص كأيّ فتاةٍ في سنّها».

ما كادت تنقضي ستّة أشهرٍ على زواج نيقولا وميرنا حتّى انقلبت حياتهما انقلابًا جذريًّا. ففي الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني ١٩٨٢، استأذنت والدة نيقولا ابنها باصطحاب زوجته ميرنا إلى بيت أُخته الكبرى ليلى، زوجة السيّد فريد

نخل، لعيادتها، إذ إنّها كانت، منذ مدّةٍ غير قصيرةٍ، طريحة الفراش، تعاني نوبات آلامٍ شديدةٍ، لم تفلح علاجات الأطبّاء في تخفيفها، وكانت قد قصدت أميركا للعلاج، بلا طائلٍ. واقترحت المريضة أن يصلّي جميع زائريها، لعلّ الصلاة تؤتي ما فشل الطبّ في إيتائه. فتناولت الإنجيل، وشرعت تتلو فقراتٍ منه. وركع بعض الحاضرين، ومنهم ميرنا، التي كانت راكعةً بجانب سرير أُخت زوجها. وفجأةً اعتراها إحساسٌ غريبٌ وارتعشت. وانتابها شعورٌ بأنّ قوّةً تخرج منها، وصرخت فتاةٌ كانت جاثيةً بجانبها: «ما هذا الذي يغطّي يديك، يا ميرنا؟». وإذ به زيتٌ تفصح عنه رائحته، ينساب من يديها ويتساقط على الأرض. فصاح الجميع: «دخيلك يا عذراء!». ودهنت إحدى السيّدات الحاضرات بهذا الزيت ليلى المريضة، التي نهضت، في الحال معافاةً. واستحوذت على الجميع الدهشة والرهبة. بعدئذٍ وافى نيقولا، فدهش للجوّ السائد، واستوضح الأمر، فأُحيط علمًا بما جرى. ولكنّه هزّ رأسه ساخرًا، فقد كان موقنًا أنّ زمن المعجزات قد ولّى إلى غير رجعة.

ولمّا عاد مساءً كي يعود بزوجته إلى البيت، صلّى جميع الموجودين أمام صورةٍ للسيّدة العذراء، كانت مصمودةً فوق رخامةٍ، فغطّى الزيت، مرّةً ثانيةً، يدي ميرنا. وكان زوج أُخت نيقولا، التي شفيت، أوّل مشاهديه. فسأل: «ما هذا؟». فجاءه الجواب من زوجته: «هذا هو الزيت الذي شفاني». وشهد نيقولا ذلك، فاهتزّ كلّ كيانه، ومنذئذٍ بدأت مسيرة انقلابه النفسيّ والفكريّ، التي تعمّقت وترسّخت، يومًا فيومًا.

أمّا ميرنا فانتحت زاويةً من غرفتها، وراحت تصلّي قائلةً: «يا ربّي، ما هذا الزيت؟ أعرف أنّها قدرةٌ إلهيّةٌ. لكن لماذا اخترتني أنا الضعيفة، مع أنّ أُلوفًا أحقّ منّي بهذه النعمة. ومع هذا، لتكن مشيئتك. فها أنا الآن أُقدّم لك أعماقي، وأتعابي، وأحزاني، وآلامي، وأفراحي، حتّى لا يبقى شيءٌ إلاّ لإكرامك، فيا ربّ أضع فيك كلّ رجائي، لأنّي أخشى من ضعفي، فاجعلني أبتعد عن فعلٍ لا تريده، لأبقى لخدمتك. فالتمس لي قلبًا وديعًا ومتواضعًا أمينًا ومعطاءً، لايطلب إلاّ مجد يسوع المسيح».

وتنامى أمر الشفاء العجيب إلى والدة ميرنا التي كانت، هي أيضًا، طريحة فراشٍ يعلو لوحًا خشبيًّا بسبب «ديسك» أقعدها، وجعل كلّ حركةٍ تقوم بها مبعث ألمٍ مبرّح. فاستدعتها يوم ١٩٨٢/١١/٢٥ وطلبت منها أن تصلّي لأجلها، بعد أن أعطتها قطعة قطنٍ جافّةً. وفيما كانت تصلّي نضحت يداها، وغدت القطنة في يدها تعصر زيتًا، فدهنت بها ظهر أمّها، التي نعمت، هي أيضًا، بالشفاء.

اليوم التالي، وكان يوم جمعة، استيقظ نيقولا باكرًا، وأعلن أنّه نوى القطاعة، مقتصرًا على أكلٍ بالزيت، شكرانًا للربّ، وكانت تلك ممارسته الأولى للصوم والقطاعة، في حياته، وسُرّ الجميع بقراره هذا.

وصباح الغداة فاحت، في كلّ أرجاء المنزل، رائحة بخورٍ قويّةٌ لم تتبيّن ميرنا مصدرها، فسألت زوجة أخي نيقولا، القاطنة في الطبقة العلويّة، فإذا بها، هي أيضًا، تجهل مصدر البخور، واتّفقتا على ضرورة تبخير البيت كلّه. وانحدرت ميرنا إلى غرفة الجلوس، في الطبقة السفليّة، فإذا بإحدى

صور سيّدة قازان الصغيرة الموضوعة إلى جانب إيقونةٍ خشبيّةٍ قديمةٍ للعذراء، تنبع زيتًا، فهرعت بها إلى غرفةٍ مجاورةٍ، حيث كان نيقولا يرتدي ثيابه. فلمّا وقع نظره على هذا المشهد أَخذت به الرعدة، وكاد يهوي أَرضًا، فأَخذ الصورة ووضعها في طبقٍ خشبيٍّ، سرعان ما امتلأ زيتًا أَخذ ينساب على أَثاث المنزل، فوضع الطبق الخشبيّ فوق صينيّةٍ معدنيّة، ما لبثت أَن فاضت، هي أَيضًا، بالزيت المتدفّق. وركع الزوجان أَمام ظاهرةٍ فائقةٍ، وهما حائران في ما يتوجّب عليهما فعله.

وتذكّرت ميرنا أَنّها كانت مزمعةً إِشعال بخور في البيت كلّه، وسألت نيقولا عن مكان البخور، فأَجاب أَنّ أُمّه تعلم مكانه، ولكنّها كانت، حينذاك، خارج البيت. ولحظت ميرنا قطعةً من البخور في كأسٍ، لم يكن نيقولا قد لمحها، مع أَنّه يعرف، بدقّةٍ، كلّ ما هو موجودٌ في الغرفة.

وارتأى نيقولا أَن يشرك والدته وإِخوته في الأَحداث العجيبة الجارية، فمضى لاستصحابهم من بيت أُخته، ولبثت

ميرنا وحدها. ولخوفها وحيرتها، لجأت للصلاة، فإذا بها تسمع صوت امرأةٍ تخاطبها بصوتٍ «كأنّه قادمٌ من خلف البحار، كصدى صدفةٍ، قائلاً: «ابنتي ماري، لا تخافي، أنا معك. افتحوا الأبواب، ولا تحرموا أحدًا من رؤيتي. وأضيئي لي شمعة».

وهرعت إلى المطبخ للمجيء بشمعةٍ، ولكنّها من جرّاء اضطرابها، سهت عن الشمعة، وعادت إلى الغرفة، حيث أُخذت برؤية انسكاب الزيت من صورة العذراء الصغيرة. وفجأةً، انقطع التيّار الكهربائيّ، وساد الغرفة ظلامٌ دامسٌ. وتفاقم خوفها، فخفّت إلى المشغل في الطابق السفليّ، واستعارت من شقيق زوجها شمعةً، صعدت بها إلى غرفتها، وفيما كانت تشعلها خاطبت السيّدة العذراء، محاولةً طرد الخوف الذي استحوذ عليها، قائلةً: «يا عذراء، ألم تقولي بأن لا نحرم أحدًا من رؤيتك، فكيف ذلك والغرفة مظلمة؟ ها أنا أشعلت لك الشمعة، فأعطينا أنت الكهرباء». كانت تقول ذلك، بلا وعيٍ، ولمجرّد طرد الخوف، ولكن يبدو أنّ الأمّ السماويّة تصغي حتّى لأبسط أقوال بنيها. فما كادت

ميرنا تنهي دعاءها حتّى عاد التيّار الكهربائيّ يعمل، ولم يكن انقطاعه قد دام أكثر من خمس دقائق، مع أنّ مدّة انقطاعه المألوفة لا تقلّ عن ثلاث ساعات.

وما لبث نيقولا أن عاد بصحبة والدته، وذوي ميرنا، وسرعان ما انضمّ إليهم عددٌ من الجيران. فارتاع نيقولا أمام هذا الحشد الصاخب، وخشي ذيوع الخبر وما يتبعه من توافد جموعٍ كثيفةٍ إلى المنزل، فحذّر الحاضرين من التحدّث عن الظاهرة العجيبة. ولكنّ ميرنا قاطعته، قائلةً: «لا، فقد سمعت صوت سيّدةٍ تقول لي بأن نفتح الأبواب، ولا نحرم أحدًا من رؤيتها».

وفُتحت الأبواب، وتدفّق الزائرون من كلّ صوب.

حدث ذلك في ٢٧ تشرين الثاني، وهو يوافق ذكرى ظهور السيّدة العذراء للأُخت «كاترين لابوريه»، وإيحائها لها بنشر تكريم الإيقونة العجيبة، والتماس أزرها.

اقحام الأَب الياس زحلاوي بالظاهرة

مساء يوم ١٩٨٢/١١/٢٨، وافى إلى مكتب الأَب الياس زحلاوي، في بناء كنيسة سيّدة دمشق، نفرٌ من الشباب الذين يرعاهم، ومن أَعضاء «جوقة الفرح» التي كان قد أَسّسها، وألحّوا كي يرافقهم إلى بيتٍ في حيّ الصوفانيّة حيث كانت تجري أَحداثٌ عجيبةٌ. ومع أنّه كان شديد التحرّز حيال الأُمور الخارقة، التي سبق له أَن تبيّن زيف بعضها، نزل عند رغبة الشبّان، ورافقهم إلى حيث كانت السيّدة العذراء تنتظره.

منذ الوهلة الأولى، تأثّر بلافتةٍ عُلّقت في صدر البيت تعلن رفض أَصحابه لكلّ تبرّعٍ أَو تقدمةٍ، فكان لهذا الحرص على المجّانيّة، والنأي عن المتاجرة بالمقدّسات، أَبلغ الأَثر في نفسه. وقد أُخذ، أَيضًا، بجوّ الصلاة الذي كان سائدًا في البيت.

وتحدّث إلى أصحابه فلمس صدقهم واستغرابهم لكلّ ما كان يجري لديهم. ثمّ طلب التحدّث إلى ميرنا على انفرادٍ، وكان التأثّر قد بلغ منها مبلغًا صبغ محيّاها بشحوبٍ كثيفٍ، عبّرت هي عنه بقولها: «قلبي مقطوع... لست أُدرك ما يجري لي». وسألها هل هي كانت، سابقًا، دائبةً على الصلاة، فأجابت، بلا مواربة، أنّها لم تكن تختلف عن معظم فتيات جيلها، اللواتي يولين حياة المرح ما يفوق، بلا قياسٍ، اهتمامهنّ بالصلاة. وأكّدت أنّ كلّ ما ألفته من ممارساتٍ دينيّة هو تلاوة «أبانا» و«السلام»، وأنّ تقواها كانت مقتصرةً على مرافقة حماتها إلى اجتماعات الأخويّة، كلّ يوم أربعاء، في كنيسة الصليب.

ثمّ انتقلا إلى غرفة النوم، حيث الإيقونة التي ترشح زيتًا، فركعت ميرنا أمامها، وركع الأب زحلاوي خلفها، بحيث يراقبها ويراقب الصورة في آنٍ واحدٍ. وبسطت ميرنا يديها، وبعد لحظاتٍ، سمعها الأب تقول، بصوتٍ هادئٍ وديعٍ: «يا عذراء، أنت النبع. الناس يأتون من أجلك، لا من أجلي. فلا تسمحي بأن ينزل الزيت من يديّ، ولا ينزل من

صورتك... يا عذراء، أنت النبع. أَبوس إِيدك وإجرك، لا تسمحي أَن ينقطع الزيت من صورتك، ويظلّ ينزل من يديّ».

هذه الكلمات، في عمقها البسيط، فاجأت الكاهن الذي سمع لغة صلاةٍ جديدةً. وتضاعفت دهشته عندما أَضافت ميرنا، بعد لحظات: «أَبونا، أَنا حاسّة أَنّ العذراء دخلت فيّ». وفيما كانت تتلفّظ بهذه العبارة، غمر الزيت راحتي يديها وأَصابعها، وبدا وكأنّه يفور من يديها. وفي الآن عينه كانت قطراتٌ من الزيت تتجمّع على زجاج الصورة، وتنساب ببطء. وكأنّ المكان امتلأ بعالمٍ آخر.

ولّما خرجت رافعةً يديها اللّتين تقطران زيتًا عجيبًا، هتف الجمهور الذي احتشد في فناء الدار: «السلام عليك يا مريم»، وتدافع للتبرّك بزيت السماء، والادّهان به. وكانت ميرنا شاحبةً ترتجف، فأَضجعوها على أَريكةٍ، وغطّوها.

وذات يومٍ، في مستهلّ الظاهرة، إذ كان الأَب زحلاوي، يصلّي مع ميرنا أَمام الإيقونة المقدّسة، بلّغته السيّدة العذراء،

بصوت ميرنا، رسالةً ذكّرته فيها بمراحل مفصليّة من مسيرته الكهنوتيّة، ومن جهاده الرسوليّ، وانتدبته لتولّي نشر الرسالة التي جاءت تبلّغها من خلال الصوفانيّة. وبعد أن تثبّت، إثر تدقيقٍ مستفيضٍ، من صحّة ما سمع، ومن سلامة ظاهرة الصوفانيّة، انبرى للنهوض بذلك التكليف المشرّف، وما زال، حتّى اليوم، لا يضنّ بجهدٍ أو وقت، لا بل بذاته وصحّته، كي يؤدّي الأمانة خير أداء.

مشهد لحي الصوفانيّة في بداية الظاهرة

صورة كبيرة لسيّدة الصوفانيّة أرسلت من كندا تغطي قسمًا من واجهة البيت في الذكرى السنويّة

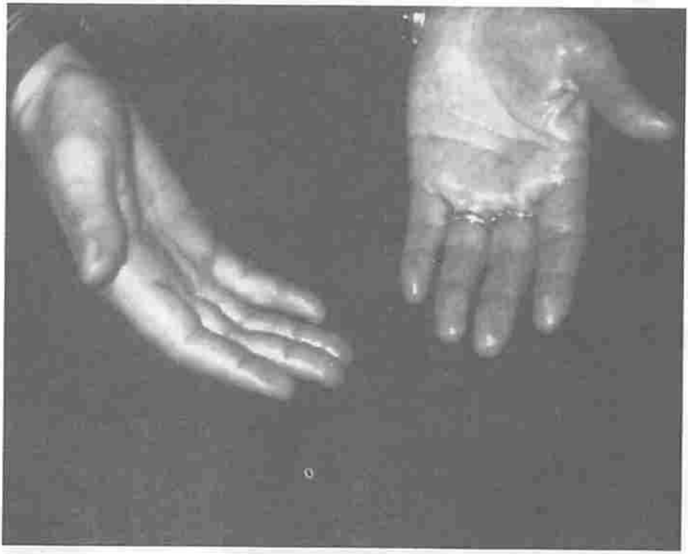

الزيت يغطّي يدَي ميرنا بتاريخ ١٩٩٩/١/١٥

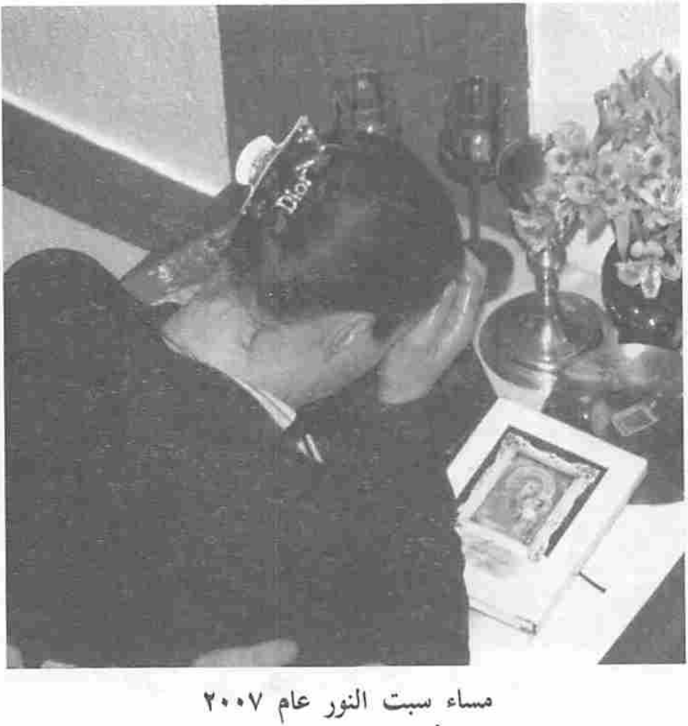

مساء سبت النور عام ٢٠٠٧
ظهر الزيت فجأة على وجه ميرنا وعينيها ويديها
إذ كان المؤمنون ينشدون (المسيح قام) في ختام القدّاس الإلهيّ

الأبِ بولس فاضل والسيّدة كوليت دوهوك
التي نظّمت رحلة ميرنا إلى البرتغال عام ١٩٩٩
حيث التقت الأخت لوسيا التي شهدت ظهورات فاطمة

انفتاح الجراح من رأس ميرنا وجبينها

إبّان انفتاح الجراح بدت من ميرنا حركات من يدها اليسرى
وكأنّها تريد أن تقتلع شوكًا من رأسها وجبينها

الدكتور جورج مسمار والدكتور لويس كوّا
يتفحّصان الجراح في جبهة ميرنا

الجماهير تحتلّ بيت العذراء

ارتأى أصحاب البيت أنّ من واجبهم إعلام رؤسائهم الدينيّين، فجاء من بطريركيّة الروم الأورثوذكس مطرانٌ وكاهنان. وكانت ميرنا في غرفة نومها راكعةً تصلّي، فركع المطران إلى جانبها، والتمس من الربّ دليلاً، فإذا بالزيت يغطّي يدي ميرنا، تحت بصره.

وقدم عناصر من الأمن برفقة طبيب، وشهدوا، بدورهم، تدفّق الزيت من يدي ميرنا ومن الصورة الصغيرة، وأجروا كلّ ما خطر لهم ببالٍ للتأكّد من خلوّ وسائل الخديعة، حتّى تيقّنوا من صدق ميرنا. وحينئذٍ استوضح أحد رجال الأمن الطبيب المرافق عن رأيه، فرفع إصبعه نحو السماء مؤكّدًا: «هذا عملٌ ربّانيٌّ».

وأشار أحد الزائرين على ميرنا بوجوب تلاوة المسبحة

الورديّة، ولم تكن ميرنا قد سمعت قطّ بها، فحدّقت إلى صورة العذراء وقالت لها: «يا عذراء ألهميني من أين آتي بهذه المسبحة، وكيف أُصلّي بها». وسرعان ما قدم شخصٌ من مدينة صيدنايا، وقال لها إنّه رأى في الحلم العذراء التي قالت له: «خذ المسبحة لابنتي ماري، وعلّمها طريقة الصلاة بها». فركعت ميرنا باكيةً، شاكرةً للعذراء تلبية استغاثتها في الحال.

وتوالت اعترافات زائري البيت بحدوث أُمورٍ عجيبةٍ معهم، بشأن انسكاب الزيت من صورة سيّدة الصوفانيّة، وبفيض الزيت داخل قطعٍ من القطن الجافّة، إثر مسح سطح صورة سيّدة الصوفانيّة، الجافّة بها. واستمرّ تدفّق الزيت من يدي ميرنا ومن أيدي بعض زائريها كلّما جيء على ذكر الأحداث العجيبة. وتوقّع كثيرون أن يغصّ البيت بالزائرين ليل نهار، واستوضحوا نيقولا عن جاهزيّته لإبقاء باب بيته مشرعًا، فأجاب: «لست أنا من فتح الباب، فعلى الذي فتحه أن يغلقه، إن هو شاء».

وسرعان ما احتلّ أصحاب علَلٍ من شتّى الأنماط غرفة نوم العروسين وسريرهما ليل نهار، التماسًا للشفاء، فيما اضطرّا هما للرقاد على مقاعد في غرفة الجلوس. وخطر لميرنا أن تضع إناءً زجاجيًّا محكم الإغلاق أمام إيقونة العذراء الصغيرة في غرفة نومها التي كان قد احتلّها مرضى غرباءُ، وقد دهش هؤلاء عندما وجدوا الإناء، صباحًا، وقد امتلأ زيتًا سماويًّا، وشاركهم دهشتهم نيقولا الذي كان قد استهجن إغلاق ميرنا للإناء بإحكام، حين وضعته أمام الإيقونة.

واستمرّ تدفّق الزيت، وتدفّق الناس إلى البيت بلا هوادة، في كلّ ساعةٍ من الليل والنهار، وميرنا تستقبلهم دائمًا ببشاشةٍ، وتشاركهم الصلاة، وتتيح لهم احتلال سريرها، حتّى فقدت فرصة النوم الهنيء، وتناول الطعام بهدوء. وفي هذه الأثناء، اتّفق أن توقّف تدفّق الزيت بضعة أيّامٍ، غير أنّ تدفّق الزائرين لم ينقطع. وقد اكتفى كثيرون بمسح نُتف قطنٍ جافّةٍ بإيقونة العذراء، فإذا بها، بعد برهةٍ، تنزّ زيتًا عجيبًا.

في العاشر من شهر كانون الأوّل، عادت الإيقونة تفيض زيتًا غزيرًا، وذاع النبأ، فتكثّف تدفّق الجموع إلى بيت العذراء.

وشرعت تتوافد إلى «بيت العذراء» شخصيّاتٌ من شتّى الفئات والمشارب. فيوم ١٩٨٢/١٢/١٠، وافى المطرب اللبنانيّ المعروف طوني حنّا، فاستوضح تفاصيل الظاهرة، وطلب استدعاءه عندما ينسكب الزيت من صورة العذراء. وتمّ له ذلك بعد أيّامٍ معدوداتٍ، إذ انبجس الزيت من الإيقونة بغزارة، فاستُدعي، وقدم، عقب فراغه من وصلة الغناء التي كان يقدّمها في نادي الشرق، في نحو الساعة الواحدة والنصف ليلاً. وشاهد نبع الزيت العجيب، فعبّر عن فرحه ودهشته بسيلٍ من التراتيل. ومنذئذٍ بات من روّاد بيت العذراء في الصوفانيّة، الذي لا يتلكّأ عن الحجّ إليه كلّما وافى إلى دمشق، وغالبًا ما يصحب إليه أصدقاءه ومعارفه.

ثمّ قدم وزير الدفاع السوريّ، آنذاك، العماد مصطفى

طلاس، تواكبه ثلّةٌ من كبار الضبّاط. وقد أُتيح له، لاحقًا، مرّاتٍ عديدةً، أن يرى انسكاب الزيت العجيب، وأصبح من أشدّ دعاة ظاهرة الصوفانيّة اندفاعًا.

وما انفكّ تدفّق الزائرين والحجّاج، من مختلف طبقات المجتمع، يكتسب كلّ يومٍ مزيدًا من الكثافة.

ظهور العذراء الأوّل: ١٩٨٢/١٢/١٥

يوم الأربعاء، في ١٩٨٢/١٢/١٥، كان البيت يغصّ بالمصلّين والكهنة، وميرنا منتحيةٌ زاويةً بجانب إيقونة العذراء، تشارك الموجودين الترتيل وتلاوة المسبحة. وبغتةً أحسّت بيدٍ تحطّ على كتفها، وتدفعها بقوّة. التفتت، ولكن لم يكن خلفها سوى جدار الغرفة. وحطّت اليد الخفيّة عليها ثانيةً، ثمّ ثالثةً، فارتعدت، وبدت كأنّها تترنّح، فسألتها فتاةٌ صيدلانيّةٌ كانت جالسةً إلى جانبها هل اعتراها النعاس، فأطلعتها ميرنا على واقع ما كان يجري لها، فأشارت عليها الفتاة بالصعود إلى السطح، لعلّ العذراء كانت تستدعيها. فوافقت ولكنّها، لشدّة خوفها، كانت تتشبّث بيد رفيقتها، غير أنّها افلتتها بسرعةٍ خارجةً من الغرفة، وجرت نحو السطح، وهي ما زالت تشعر باليد الخفيّة على كتفها. وهبطت راكعةً، مسندةً

رأسها على أرض السطح، مغمضة العينين، عائمةً في عباب الحيرة. ثمّ رفعت بصرها مستطلعةً، فبهرها نورٌ يحاكي نور الشمس الساطعة، وانتصبت أمامها سيّدةٌ متألّقةٌ، باهرة البهاء، تتوهّج توهّج الماس. لم تجرؤ على التحديق إليها، بل اكتفت باستراق نظرةٍ خاطفةٍ، فإذ بالسيّدة تومئ إليها برأسها مبتسمةً، فأخذ بها الخوف كلّ مأخذٍ، ولاذت بالفرار، وهي تصيح مستغيثةً بسلفتها «إيلين»، التي كانت راقدةً في غرفةٍ على السطح، مردّدةً: «انظري العذراء، انظري العذراء!». وكانت السيّدة ما برحت واقفةً ترمقها مبتسمةً، ولكنّ سلفتها «إيلين» لم تكن تشاهد شيئًا، فظنّت بها مسًّا، وصفعتها عدّة صفعاتٍ، لعلّها تعيدها إلى رشدها.

وسمع عوض، شقيق نيقولا، وهو زوج إيلين المذكورة، جلبةً متصاعدةً من صوب مسكنه، فصعد إليه، وأخبرته زوجته بما حدث، وأكّدت له ميرنا صحّة ما رأت، وهي ترتجف رعدةً، مردّدةً: «أجل رأيتها. للّه ما أجملها!». حمل عوض ميرنا، وهبط بها إلى غرفة الجلوس، ووضعها في زاويةٍ، وأسبل عليها غطاءً، إذ كانت كلّ فرائصها ترتجف.

وتحلّق الجميع حولها مستطلعين الأمر، مستفسرين عن أوصاف العذراء، وكانت أجوبتها متلعثمة. فرأى الأب الياس زحلاوي، الذي كان حاضرًا، أن يدَعوها ترتاح. ولمّا انصرف الزائرون، وهدأ الجوّ، روت له ميرنا، بإيجاز، ما رأت، فقال لها إنّ العذراء مزمعةٌ أن تحمّلها رسالةً، فعليها أن تتأهّب لاستقبالها بالصلاة. وأشاع في نفسها الطمأنينة بقوله إنّ العذراء أمٌّ، ولا أحد يخاف من أمّه.

ذلك الظهور كان حلقةً أولى من سلسلةٍ من الظهورات والرسائل المتلاحقة. وجديرٌ بالتنويه أنّ هذا الحدث جرى في مثل الوقت عينه، أي في الساعة ٢٣:٣٧، الذي كان فيه ملاكٌ قد دفع الأخت كاترين لابوريه نحو مصلّى ديرها بباريس، كي ترى العذراء مريم، في شهر كانون الأوّل من عام ١٨٣٠.

أَشفيةٌ وارتداداتٌ

في اليوم التالي، أي في ١٦/١٢/١٩٨٢ تحقّق الارتداد الروحيّ الأوّل والشفاء الجسديّ الساطع الأوّل.

ففي دمشق، طبيبٌ أُردنيّ الأصل، لا يقيم كبير وزنٍ للدين، يدعى جميل مرجي. وكانت زوجته، وهي، على نقيضه، راسخة الإيمان، قد أُحيطت علمًا بالأحداث المعجزة التي تجري في الصوفانيّة، فألحّت كي يصحبها زوجها إلى موقع هذه الأحداث. ولم يلبِّ طلبها إلاّ رغبةً منه في إثبات أنّ كلّ ما يشاع بهذا الشأن مجرّد أراجيف، لا بدّ من فضح زيفها، فهو وطيد اليقين بأنّ لا حقيقة خارج العلم.

وفيما كان ذلك الطبيب يلقي على أهل البيت وزائريه محاضرته، باسطًا نظريّاته ومعتقداته، تصاعدت من غرفة العروسين، حيث إيقونة العذراء، صيحات شكرٍ من امرأةٍ

كانت راكعةً أمامها، وأعلنت شفاءها من علّةٍ مزمنةٍ. وخفّ الأب زحلاوي إلى الغرفة، فشاهد امرأةً متّشحةً بملاءةٍ، وثيابٍ سوداء، تلوّح بيديها، وقد عُقد لسانها، فجاء بها إلى غرفة الجلوس، برفقة شابٍّ أفاد أنّه ابنها. واتّضح أنّها امرأةٌ مسلمةٌ تدعى «رقيّة كلتا»، من سكّان ركن الدين بدمشق، وأنّها كانت مصابةً بشللٍ في يدها، وتكلّسٍ في كتفها. ولّما تنامى إلى سمعها ما يجري في الصوفانيّة، هرعت إليها، وجثت أمام إيقونة العذراء، واستغاثت بها بإيمانٍ، فنالت شفاءً فوريًّا. وطلب الأب زحلاوي من ابنها الإتيان بتقريرٍ طبّيٍّ يثبت اعتلالها، فاستلّ من جيبه تقريرًا كان معالجُها، الطبيب سمير رومانيّ، قد دوّنه في اليوم السابق. وتلقّف الدكتور جميل مرجي التقرير، وطالعه باهتمام، ثمّ فحص السيّدة كلتا، وحينئذٍ، التفت نحو الأب زحلاوي الذي كان يحاجّه قبل لحظاتٍ، معترفًا: «أبونا، أنا رميت سلاحي. هذه شغلةٌ تفوق كلّ علمٍ، وأنا جاهزٌ لأيّ شهادةٍ تطلبونها». واحتفظ بالتقرير، كي يتابع الأمر مع الدكتور سمير رومانيّ الذي كان يعالج المرأة، من قبل. ثمّ مضت المرأة رافعةً يديها،

وهي تجأر بآيات شكرها للعذراء التي أعتقتها من محنتها المزمنة. وعند باب المنزل صادفها رئيس قسم شرطة القصّاع، وهي في هذه الحالة من الحبور، فاستفسرها عمّا جرى لها، واستمع، بدهشةٍ، إلى روايتها، وسارع إلى إعلام قائد الشرطة العامّ، اللواء وليد حمّاميّة، الذي ما لبث أن قدم برفقة ثلّةٍ من معاونيه الذين تخشّعوا أمام إيقونة العذراء، ثمّ وافوا إلى غرفة الجلوس، واستمعوا إلى ما كان يحدث.

وفي هذه الأثناء قدمت، أيضًا، سيّدةٌ أرمنيّةٌ تُدعى «أمّ هايكو»، وأفادت أمام اللواء حمّاميّة، أنّها كانت، منذ ثمانية أعوامٍ، مصابةً بجلطةٍ في ساقها، وقد عجز أطبّاء أميركيّون وروسيّون عن شفائها. وكانت، قبل قليلٍ، تصلّي عندما شفيت السيّدة «رقيّة كلتا»، وشهدت شفاءَها، فأخذت قطنةً مبلّلةً بالزيت ودهنت بها رجليها. وبما أنّها لم تكن تقوى على السير بمفردها، فقد أعانتها قريبتان لها على الذهاب إلى مدرسةٍ أرمنيّةٍ، حيث كان يُقام احتفالٌ لطلبةٍ أرمن. وهناك شعرت بالقدرة على الوقوف والسير بمفردها، وبلا ألمٍ، فراحت تذرع أرجاء المدرسة جيئةً وذهابًا، وتشارك الأطفال

جريهم، وحينئذٍ لم تستطع سوى العودة إلى بيت العذراء في الصوفانيّة كي تقدّم الشكر للسيّدة العذراء التي منّت عليها بالشفاء، ولكي تدلي بشهادتها.

في تلك الفترة، كان باب البيت يُغلق في الساعة الثانية ليلاً، ويُفتح في الرابعة والنصف فجرًا، ولا يكفّ الناس يتدفّقون التماسًا لشفاءٍ جسديٍّ، أو لشفاءٍ نفسيٍّ، أو طلبًا لحلّ عقدةٍ مستعصيةٍ، أو لمجرّد الصلاة ومناجاة الأمّ السماويّة، التي كرّمت دمشق بزيارتها لها.

يوم ١٩٨٢/١٢/١٧، زارت بيت العذراء في الصوفانيّة فتاةٌ التمست من ميرنا أن تصلّي من أجل والدتها، «غالية عرموش» المصابة بتيبّسٍ في يدها اليمنى، وبعد أن اشتركتا في الصلاة أخذت الفتاة قطعة قطنٍ دسّتها والدتها داخل كمّ قميص نومها، ونامت. وعند استيقاظها لم تجد للقطعة أثرًا، ولكنّ يدها كانت قد تعافت. فجاءت غالية نفسها صباح يوم الجمعة ١٩٨٢/١٢/٢٧، كي تشكر العذراء، وتشهد عمّا جرى.

ميرنا إبّان انفتاح الجراح يوم
الخميس العظيم ١٩٨٧

ميرنا إبّان انفتاح الجراح يوم الخميس العظيم سنة ٢٠٠١
يحيط بها بعض المصوّرين والأطبّاء ومنهم الدكتور الأميركيّ
أنطوان منصور والدكتور فيليب لورون

الدكتور جميل مرجي يفحص ميرنا
خلال انخطاف ١٩٨٧/١١/٢٦

الدكتورة جنفييف أنطلكي تتفحّص ميرنا وإلى جانبها زوجها
الدكتور جان كلود أنطلكي

أنطوان مقدسي في بيت العذراء بالصوفانيّة
يوم الخميس العظيم عام ١٩٨٧ والأب الياس جرجورة
والدكتورة جنفييف أنطلكي والدكتور جان كلود أنطلكي

الأب بولس فاضل يدوّن ملاحظاته بينما ميرنا في حالة انخطاف
بحضور الدكتور كفرنيبو كنوت رئيس الوفد الإسكندنافي الطبّيّ

مجموعة من الأطبّاء اللبنانيّين يراقبون ميرنا في حالة الانخطاف
وهم من اليسار البروفسور سامي طعمة،
البروفسور سليم غسطين، الدكتورة يولاند شبير
ويبدو في الخلف اللاهوتيّ الدانمركيّ كريستيان نيلز هيفيت
وبحضور الطبيب اللبنانيّ سمير صليبي، عام ٢٠٠٤

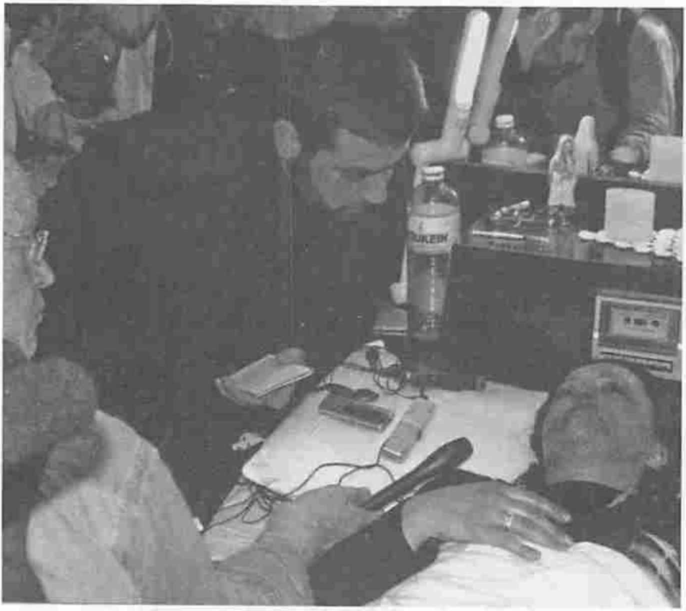

ميرنا تروي ما شاهدت في انخطاف سبت النور عام ٢٠٠٤
للأب بولس فاضل
والدكتور كفرنيبو كنوت رئيس الوفد الطبّيّ الإسكندنافيّ

الظهور الثاني

مساء يوم السبت الواقع في ١٨/١٢/١٩٨٣، إذ كان أهل البيت راكعين يصلّون، أحسّت ميرنا بقوّةٍ تدفعها، فصارت تهوي إلى الأمام. وسرعان ما أدركت أنّ اليد التي تدفعها إنّما هي تدعوها للصعود إلى السطح، فامتثلت للدعوة، وواكبها ذووها. كان كلّ كيان ميرنا يرتعش رهبةً ورعدةً. كانت السماء ملبّدةً بالغيوم. وبغتةً ومض ما يحاكي برقًا، ثلاث ومضاتٍ متتاليةٍ، لم يلحظها سوى ميرنا، وتلاها ظهور كتلة نورٍ ساطعٍ كنور الشمس، متموّج الألوان، بجانب غصنٍ من شجرة الكينا المنتصبة مقابل المنزل، ومن وسط هذه الكتلة النورانيّة، انبثق شعاعٌ بهيئة هالةٍ احتلّت مركزها السيّدة العذراء، فوق الغصن. فصرخت ميرنا، وصرخ، أيضًا، عوض الذي رأى كتلة النور والهالة، ولكنّه لم يؤتَ رؤية العذراء.

كانت ميرنا تشير بإصبعها إلى السيّدة مردّدةً: «ها هي ذي». وظلّت، برهةً، تتأمّلها، والعذراء ترمقها بنظرة حنانٍ مصحوبةٍ ببسمةٍ عذبةٍ، تشيع في نفسها الفرحٍ والطمأنينة، ثمّ خطت نحوها بتؤدّةٍ، راسمةً وراءَها خطوطًا من نورٍ، مثل الزبد الذي تتركه الباخرة خلفها لدى مخرها عباب البحر. كانت تسير في الفراغ، واجتازت، بلا عائقٍ، درابزين الشرفة، ووقفت أمام ميرنا التي أُخذت بجمالها المنقطع النظير. كانت شرقيّة الملامح، فارعة القوام، باشّة الأسارير، ساحرة البسمة، يتعذّر وصف سناها. وكانت ترتدي ثوبًا ناصع البياض يشدّه زنّارٌ سماويّ اللون، وله قلنسوةٌ تغطّي رأسها الذي أحاق به تاجٌ من نورٍ، وأُسبل على كتفها وشاحٌ من لون الزنّار، يتدلّى حتّى قدميها. وكانت تحمل، في يدها اليمنى، وعند مستوى صدرها، مسبحةً بيضاء تتألّق تألّق الكريستال، وقد أسدلت يدها اليسرى على امتداد جنبها.

ظلّ الجميع يصلّون بخشوع، وميرنا تظنّ أنّهم يرون العذراء مثلما هي تراها، إلى أن بدّد ظنّها أحدهم بسؤاله: «أين هي العذراء؟»، فصرخت: «ها هي، ها هي ذي،

واقفةٌ بإزائي!». ولا شعوريًا لمست قدم السيّدة، وهي تشير إليها، فتبيّنت أنّها كائنٌ من لحمٍ ودمٍ، وأخذت تتساءل كيف استطاعت، والحالة هذه، السير في الفراغ، واجتياز درابزين الشرفة بلا عائق. وصارت تغمض عينيها، ثمّ تفتحهما، وكأنّها تبتغي التأكّد من أنّ ما تراه واقعٌ حيٌّ.

وحينئذٍ تحركت شفتا السيّدة، وأخذت تتكلّم بصوتٍ بدا «قادمًا من السماء». كان يُخيّل إلى ميرنا أنّ الجميع يسمعونها، ومع ذلك، كانت تردّد، لا شعوريًّا، كلّ جملةٍ تسمعها، وبعض الحاضرين يسجّلون أقوالها، وهكذا جاءت الرسالة الأولى. وهذا نصّها:

«أبنائي، اذكروا الله، لأنّ الله معنا.

أنتم تعرفون كلّ شيءٍ، ولا تعرفون شيئًا. معرفتكم معرفةٌ ناقصةٌ، لكن سيأتي اليوم الذي فيه تعرفون كلّ شيءٍ، مثل معرفة الله لي.

افعلوا الخير لفاعلي الشرّ، ولا تعاملوا أحدًا بالسوء.

أعطيتُكم زيتًا أكثر ممّا طلبتم. وسأعطيكم ما هو أقوى من الزيت بكثيرٍ.

توبوا، وآمنوا، واذكروني في سروركم.

بشّروا بابني عمّانوئيل. من بشّر خلُص. ومن لم يبشّر، فإيمانه باطل.

أحبّوا بعضكم بعضًا.

أنا لا أطلب مالاً يُعطى للكنائس، ولا مالاً يوزّع على الفقراء. أطلب المحبّة. الذين يوزّعون مالهم على الفقراء والكنائس، وليس فيهم محبّة، فهم ليسوا بشيءٍ.

سأزور البيوت أكثر، لأنّ الذين يذهبون إلى الكنيسة، أحيانًا لا يذهبون للصلاة. أنا لا أطلب أن تشيّدوا لي كنيسةً، بل مزارًا.

لا تحرموا أحدًا ممّن يطلبون النجدة».

وما إن فرغت العذراء من الإدلاء برسالتها، حتّى أومأت

بيدها اليسرى إِيماءة الوداع، فيما رفعت يدها اليمنى التي تدلّت منها المسبحة، وكأنّها تؤكّد على ضرورة تلاوة المسبحة. ثمّ رجعت القهقرى، وهي ما برحت ترمق مبتسمةً، ولم تُدِرْ ظهرها، وجلست على غصن شجرة الكينا، وأَحاقت بها الهالة التي كانت تحيق بها عند مجيئها، واختفت في طوايا النور الذي كانت تلتحف له، أَثناء قدومها. وتكرّرت ومضات النور ثلاثًا، ثمّ توارت مثلما يتلاشى الحلم، مخلّفةً، في قلب ميرنا، غصّة الفراق. وارتسمت على وجوه الجميع أَمارات الذهول المقترن بالفرح.

يوم الأَحد ١٩/١٢/١٩٨٢، وهو الأَحد الذي يسبق عيد الميلاد، حفِل بالأَشفية العجيبة. حشود الجماهير كانت تتراصّ أَمام البيت، وتحتلّ حيّزًا من الحديقة المقابلة له. وكلٌّ جاء بمريضٍ له، يدخل به البيت حالما تتسنّى له الفرصة، أَو يُفسَح له مجالٌ للدخول، فيضع المريض على سرير ميرنا، ويصلّي معها ملتمسًا شفاءه، وكثيرًا ما يتحقّق الشفاء. والأَمثلة على ذلك كثيرةٌ:

جاء شابٌّ يرتدي زيًّا عسكريًّا، ومعه والده المصاب بفالجٍ نصفيٍّ، ويُدعى محمّد القهوجيّ، قادمَين من قرية جوبر المجاورة لدمشق. أَضجع الشابّ والده على سرير ميرنا، التي نصحته بالصلاة كما تعلّمه ديانته الصلاة، والتماس شفاء والده من السيّدة العذراء، وهي من جانبها، تلت صلاتها. ودهنت قدميه بالزيت. ثمّ أَنهضت الرجل الذي وقف، بادئ الأَمر، بمشقّةٍ، ولكن ما لبث أَن مشى، فيما كان ابنه، خارج الغرفة يصلّي. ولمّا شاهده يسير بمفرده على رجليه، هبط راكعًا وهو يصيح: «شكرًا يا عذراء!»، وتعالت هتافات الحضور: «لقد شفي. السلام عليك يا مريم». بعضهم صفّقوا، وبعضهم بكوا، وجميعهم مجّدوا الله. ومنذئذٍ غدا الشابّ، ابن محمّد القهوجي، يختلف، يوميًّا، إِلى بيت العذراء في الصوفانيّة، فيساعد المرضى القادمين، اعترافًا بجميل تلك التي شفت والده، وعملاً بواجب خدمتها.

وجاء، أَيضًا، للصلاة المصوّر الفوتوغرافيّ سمير حنّا، وهو نازحٌ من القنيطرة، كان قد أُصيب بجلطةٍ بالقلب، أَعقبتها جلطةٌ بالدماغ أَدّت إِلى شللٍ عامٍّ. وتوقّع الأَطبّاء وفاته بين

لحظةٍ وأُخرى، وبلّغوا بذلك، ذويه. ولكنّ أَحد أَصدقائه هرع إلى الصوفانيّة، وعاد من بيت العذراء بقطعة قطنٍ مشبعةٍ بزيت العذراء، ودسّها في فمه عنوةً، مستعينًا بملعقة. وما هي إلاّ دقائق معدوداتٌ حتّى فتح المحتضر عينيه، واستعاد محيّاه الذي كان قد اصطبغ بأَلوان النزاع، شكله الطبيعيّ، وحركته، وطلب القربان المقدّس، كما طلب استدعاء «ماري» التي تظهر لها العذراء في الصوفانيّة. كان ذلك في يوم السبت ١٩٨٢/١٢/١١، ويومها وافى شخصٌ إلى بيت العذراء، وأَخبر الأَب زحلاوي، أَنّ مريضًا مدنفًا يطلب القربان المقدّس، وحضور ميرنا. وما إن رأى المريض الكاهن داخلاً حجرته، مصحوبًا بميرنا وزوجها، حتّى انحدر من سريره، وركع مطأطئًا رأسه حتّى لامس الأَرض، غير حافلٍ بتحذير كلٍّ من الكاهن، وذويه، والطبيب الذي كان قد حذّره من خطر كلّ حركةٍ تتطلّب جهدًا. وردّ قائلاً:

«أَبونا لا تخَفْ. إنّ الله موجود!». ثمّ طلب من نيقولا مغادرة الغرفة، لأَنّ لديه ما يقوله لميرنا بحضور الكاهن فقط. وحينئذٍ قال لميرنا: «أَنت تفكّرين بالذهاب إلى ديرٍ للترّهب،

والعذراء لا تريدك أن تفعلي ذلك». فدهشت ميرنا التي اعترفت بأنّ هذا الخاطر كان قد راودها فعلاً، ولكنّها لم تفاتح به أحدًا.

يومها بدأ سمير يتعافى، وفي ١٩٨٢/١٢/١٩ قدم إلى بيت العذراء شاكرًا، وركع مطأطئ الرأس، وأنشد «نحن عبيدك»، فتدفّق من يديه زيتٌ غزيرٌ. وشاركه الحضور في الإنشاد للأُمّ الشافية.

وفي اليوم عينه جاءت أُسرةٌ من قرية منين، بضواحي دمشق، بشابٍ يُدعى فادي باهم، مصابٍ بنقص نموٍّ، بحيث بلغ الرابعة والعشرين من العمر، وما برحت ساقاه في مثل رفع الخيوط ووهنها، ولا تقويان على حمله، رغم كلّ ما أنفقه ذووه في لبنان وفي سوريّة من أجل علاجه، بلا طائلٍ، حتّى بات مرضه همّ حياتهم الأكبر. فجاؤوا به إلى بيت العذراء في الصوفانيّة، ومدّدوه على سرير ميرنا التي صلّت لأجل شفائه، وإذ به ينهض ويمشي بمفرده وسط تهليل ذويه والحاضرين وتصفيقهم. وعندما عاد إلى قريته، وهو

يسير على قدميه، دوّت طلقات الرصاص ابتهاجًا، وتعالت الزغاريد.

وفي ذلك اليوم، أيضًا، نالت السيّدة شمس شويري، زوجة السيّد فؤاد الحلبي، الشفاء من تكلّسٍ في غضروف يدها اليمنى، لم يفلح الأطبّاء والمعالجون الفيزيائيّون، سحابة سنواتٍ، في القضاء عليه، أو في تخفيف وطأة ألمه. ولكنّ الشفاء تحقّق، بفضل دهن يدها بقطعة قطنٍ جافّةٍ، مسحت بها المريضة صورة سيّدة الصوفانيّة، ثمّ ابتلعتها، يحدوها إيمانٌ وطيدٌ بقدرة أمّ الله. وما لبث فمها أن امتلأ بطعم الزيت. وفي الغداة أفاقت وقد استعادت يدها حركةً طبيعيّةً، وتحرّرت من كلّ ألمٍ. ودهش زوجها وهو يشاهدها تقدّم له، بيدها، القهوة التي أعدّتها بنفسها، ولطالما كانت قد عجزت عن فعل ذلك. وكان أشدّ دهشةً الطبيب الذي فحصها وقارن بين وضع يدها الراهن وما تدلّ عليه صورةٌ شعاعيّةٌ لها كانت قد التُقطت قبل مدّةٍ وجيزةٍ.

وفي ذلك اليوم عينه، جاء رجلٌ يدعى سليم الصايغ، من

قرية فيروزة، بضواحي حمص، حاملاً طفله سامر، البالغ من العمر نحو تسع سنواتٍ، والذي كان قد أُصيب، قبل أيّامٍ، بشللٍ لم يقف له طائفةٌ من الأطبّاء على علاجٍ، فجاء به ذووه إلى مستشفى الأطفال بدمشق، حيث لم يجدوا له سريرًا شاغرًا. وتنامت إلى مسامع الطفل أنباء ما كان يجري في الصوفانيّة فطالب بأخذه إليها. وتردّد والده، بادئ الأمر، في تلبية طلبه، خشية أن يكون الأمر مجرّد فريةٍ باطلةٍ، فيُمنى الطفل بصدمةٍ وبيلةٍ. ولكنّه لبّى رغبته، بعد لأيٍ، تحت ضغط إلحاحه. وما إن حطّ الطفل في بيت العذراء حتّى انطلق يمشي مشيًا طبيعيًّا. ومضى به ذووه، في الحال، إلى طبيب أطفالٍ أكّد لهم أن ابنهم ينعم بعافيةٍ تامّةٍ، وبقدرةٍ كاملةٍ على الحركة.

وأكّد كثيرون أنّ هذه الأشفية المتعدّدة إن هي إلاّ تنفيذٌ لوعد العذراء بإعطاء ما هو أقوى من الزيت.

واستقرّ، حينئذٍ، في خلد نيقولا أنّ الوضع الذي أُقحم فيه يعني انهيار كلّ أحلام مشاريعه التجاريّة؛ غير أنّه، إثر

تبيّنه معجزات الشفاء المذهلة، بات يتحمّل صلبانه برضًى، بل بفرحٍ وشكرٍ.

في ليلة عيد الميلاد، زار بيت العذراء، ثانيةً، وزير الدفاع، العماد مصطفى طلاس وزوجته، يصحبهما ثلّةٌ من كبار المسؤولين ورجال الأمن. فصلّوا وجلسوا يتحدّثون عن الظاهرة، فيما تلبّثت زوجة العماد، في غرفة ميرنا، تصلّي بمفردها أمام صورة العذراء، ملتمسةً مشاهدة انسكاب الزيت العجيب، وإذ بها تصرخ، بغتةً، مستدعيةً زوجها الذي خفّ نحوها، يرافقه كثيرون، تبيّنوا انسياب الزيت من الصورة المقدّسة على يدها، فادّهن بها جميع الحاضرين، ومجّدوا الله. وكان لهذا الحدث أصداءٌ بعيدةٌ استقدمت مزيدًا من الزائرين، والصحافيّين الذين استثارهم الأمر.

واقترح العماد طلاس على أصحاب البيت أن يبتاع لهم بيتًا آخر، ينعمون فيه بالسكينة والراحة، فيما يظلّ بيت العذراء مزارًا مشرعًا للجميع. ولكنّ نيقولا رفض هذا العرض، فكيف يرتضي بهجر بيتٍ وصفه العماد نفسه

بالمبارك؟ وأكّد أنّه وأُسرته جاهزون لاستقبال الزائرين بلا تحفّظٍ. وحينئذٍ أقرّ السيّد العماد أنّ إيقونة العذراء، والبيت الذي اختارته، وميرنا، ثالوثٌ لا يكتمل إلاّ بوحدتهم جميعًا.

وتواترت زيارات كبار المسؤولين إلى المنزل، وتوالت الأشفية العجيبة. ففي ١٩٨٣/١/٧، قدمت إلى بيت العذراء فتاةٌ مسلمةٌ تدعى صفاء أبو فارس، في نحو العشرين من العمر، كانت موظّفةً في وزارة الخارجيّة، حيث يعمل والدها مترجمًا للوزير، برفقة والديها، وزوجها، وصديقةٍ لها مسيحيّة. كانت صفاء قد تزوّجت منذ بضعة أشهر، ولأيّامٍ معدوداتٍ، وبالتحديد في ١٩٨٣/١/٣، إذ كانت تعمل في مكتبها أحسّت أنّ غشاوةً تنسدل على عينيها، فهرعت إلى مكتب والدها القائم في البناء عينه. وبغتةً فقدت وعيها، وهوت أرضًا، وعندما أفاقت ونهضت، كانت قد فقدت البصر فقدانًا تامًّا، وأعلن أطبّاء العيون، والمعالجون النفسيّون الذين عاينوها، عن عجزهم حيال علّةٍ لم يتبيّنوا لها سببًا. وإذ كان على والدها أن يرافق وزير الخارجيّة إلى مؤتمر دول عدم الإنحياز في نيكاراغوا، فقد اعتزم استصحابها إلى

الولايات المتّحدة. وفي هذه الأثناء حدّثتها صديقتها المسيحيّة عمّا كان يجري في بيت العذراء بالصوفانيّة، وأشارت عليها بزيارته. ولكنّ والدها آثر أوّلاً استطلاع حقيقة الأمر، خشية خدعةٍ قد تزيد المصيبة وبالاً. وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي جاء بها إلى بيت الصوفانيّة، وتلبّث في سيّارته خارجًا، في حين انتظرها زوجها ووالدتها في فناء الدار، فيما هي دخلت مع صديقتها إلى غرفة ميرنا، التي كانت، آنذاك، خارجًا، تزور ذويها.

وعقب ثلاث عشرة دقيقةً من الصلاة الحارّة، رأت صفاء وجهها في مرآةٍ، داخل الغرفة، وخشيت أن تكون ضحيّة هلوسةٍ، فصرخت صراخًا حادًّا، أصاب والدتها بالذعر، ففتحت باب الغرفة بعنفٍ، وإذ بابنتها تراها بوضوحٍ، وارتمت كلٌّ منهما على عنق الأخرى، مذرّفتين دموع الفرح والشكر والدهشة.

وقد روى زوجها، لاحقًا، أنّه شاهد، مرّتين، يديها تفرزان زيتًا، وهي نائمة، وفي كلّ مرّةٍ كان يوقظ والدها، ويستدعيه كي يشهد ذلك بنفسه.

نقل الإيقونة إلى كنيسة الصليب

كان ديوان بطريركيّة الروم الأُورثوذكس بدمشق قد أَصدر يوم الجمعة في ١٩٨٢/١٢/٣١، بيانًا رسميًّا حول ظاهرة الصوفانيّة، اتّسم بالإيجابيّة والتوازن، وهذا نصّه:

«تنويرًا للأَذهان بمناسبة ما قيل ويقال عمّا يحدث لدى إِحدى عائلاتنا المباركة، ترى البطريركيّة إِيضاح الآتي:

١ – إِنّ العجائب أُمورٌ عاديّةٌ لدى الله، وإِن بدت غير عاديّة لدينا. لأَنّه هو القادر على كلّ شيءٍ. وهو خلق أَنظمة الطبيعة، وهو يتجاوزها عندما يشاء. وهل يتبارك شيءٌ، أَو يتمّ شيءٌ من دونه؟

٢ – إِنّ المنزل الذي تمّت فيه رؤيةٌ غير عاديّةٍ هو بيتٌ مؤمنٌ، وعائلةٌ أُورثوذكسيّةٌ نعتزّ بإِيمانها، وليس فيها من يدّعي

القداسة كما يصوّره الكثيرون. فالسيّدة ماري ابنةٌ وديعةٌ متواضعةٌ، وزوجها عاملٌ نشيطٌ في الكنيسة، وكلاهما يرى لله فضلاً عميمًا على الأُسرة التي ببركة الله ورضوانه قد أُنشئت.

٣ – لقد سبق للكرسيّ الأنطاكيّ، وشهد ظواهر كثيرةً تدعم الإيمان. ولا تزال صيدنايا ومعلولا مع عددٍ من الكنائس ميدانًا للعمل الإلهيّ. وكلّها كانت تظهر حينًا، وتختفي حينًا آخر، ممّا غدا مألوفًا في حياة الكنيسة المقدّسة.

٤ – إنّ تقرير العجيبة أمرٌ صعبٌ، وفي غاية الرصانة. ولإثباتها شروطٌ موضوعيّةٌ متعدّدةٌ لا تقوم إلاّ على أيدي الأطبّاء المختصّين الذين يعيّنهم المسؤولون في الكنيسة لفحص المريض قبل شفائه، ومعرفة طبيعة مرضه، ومن ثمّ فحصه بعد شفائه، خلال مدّةٍ طويلةٍ للتأكّد من أنّ الشفاء حصل فعلاً، بصورةٍ خارقةٍ، والتثبّت من أنّ هذا الشفاء شفاءٌ تامٌّ، وكاملٌ، ودائمٌ، لأنّ الربّ لا يعمل من الأشياء نصفها أو جزءًا منها فقط. فإذا لم تتوفّر هذه المعطيات، تعذّر على الكنيسة

المقدّسة الاعتراف بحدوث العجيبة. لكنّها، في كلّ حالٍ، تعترف بفضل الله ورحمته علينا نحن مخلوقاته.

٥ – لذلك نتوجّه إلى المؤمنين طالبين أن يواصلوا تقديم الشكر لربّ السموات والأرض، والكفّ عن أيّة مبالغةٍ في القول، أو تهوّرٍ في التصرّف، لئلاّ يرتدّ هذا إساءةً إلى الله، والكنيسة، وإلى أسرتَي الأخرس ونظّور المباركتين.

٦ – نعلن كذلك أنّ الإيقونة المقدّسة ستنقل، بعد أيّامٍ، من المنزل، حيث هي، إلى كنيسة الصليب حيث المكان اللائق، والتسبيح للمخلّص وأمّه العذراء. والرجاء ألاّ يحمّل المؤمنون السيّدة ماري وزوجها ما لا يقدر الإنسان على تحمّله...».

رئيس ديوان بطريركيّة الروم الأورثوذكس، في دمشق.

وفي مساء ١٩٨٣/١/٨ وافى إلى بيت الصوفانيّة الأب جوزيف زحلاوي منتدبًا من قبل البطريركيّة الأورثوذكسيّة، وبعد تلاوة صلاة المدائح، أفاد أنّ غبطة البطريرك هزيم أمر

بنقل الإيقونة، في اليوم التالي، ١٩٨٣/١/٩، إلى كنيسة الصليب، في موكبٍ أورثوذكسيٍّ كاثوليكيٍّ مشترك.

وفي مساء ذلك اليوم كانت ميرنا منقبضة الصدر، متوتّرة الأعصاب، تبكي بلا سببٍ واضحٍ، وهرعت إلى سطح المنزل، كي تبثّ العذراء هواجسها وضيقها، وفيما كانت راكعةً تبلّل صلاتها بالدموع، ومض النور المبشّر بقدوم الأُمّ السماويّة، التي ما لبثت أن حضرت وقد غشت الدموع عينيها، هي أيضًا، واقتصرت على التفوّه بعبارة «**ما عليش**» (لا بأس). وقبل أن تنصرف رمقت ميرنا بنظرةٍ تفيض رقّةً وحنانًا.

فكرة الانفصال عن صورة الأُمّ السماويّة، التي باركت بيتهم كانت موجعةً لنيقولا وذويه، وثقيلة الوطء على نفوسهم، ولكنّهم، خضوعًا لأمر رئيسهم الدينيّ، استسلموا على مضضٍ.

وفي نحو الساعة التاسعة من صباح يوم الأحد – ١٩٨٣/١/٩ – قدم الأب جوزيف زحلاوي، مندوب

البطريرك هزيم، وقبل انطلاق الموكب، تناوب نيقولا وميرنا على حمل إيقونة العذراء، وقد غشى زجاجها زيتٌ كثيفٌ، ووقفا بها وسط فناء الدار، وتدافع القوم لتقبيلها، والتبرّك بها، وكأنّهم يودّعون حبيبًا غاليًا.

ثمّ انطلق موكبٌ حاشدٌ قلّما شهدت دمشق مثل كثافته وتآلفه، ومسكونيّته، فقد امتزج فيه أورثوذكسيّون وكاثوليكيّون، إكليرسًا وشعبًا، امتزاجًا حميمًا وثيقًا، وقد وحّدهم حبّ أُمّ الله. وعلى امتداد الطريق المزدان بالزهور وصُوَر السيّدة العذراء، بين البيت والكنيسة، تناوبت جوقتان، إحداهما أورثوذكسيّة، والأُخرى كاثوليكيّة، على إنشاد ترانيم تمجّد أُمّ الله وتسبّحها. وكان الموكب من الجسامة والامتداد بحيث عندما وصلت طلائعه إلى كنيسة الصليب، كان جزءٌ كبيرٌ منه ما زال في بيت الصوفانيّة وفي جواره.

وكان الأَب معلولي يتقدّم الموكب، وهو يتلو المسبحة، يشاركه، في تلاوتها، جمهورٌ عريض.

كثيرون غدوا يؤمّون كنيسة الصليب للصلاة أمام الإيقونة

العجائبيّة، ومع ذلك، لم تنقطع الصلاة في بيت الصوفانيّة. بل إنّ كثيرين ممّن يصلّون في الكنيسة كانوا يعودون إلى ذلك البيت، وإلى الغرفة التي شهدت بدء انسكاب الزيت، والأشفية العجيبة، كي يكملوا صلاتهم فيها.

واتّفق أنّ الأب إلياس زحلاوي الذي قدّم بين ١١ و١٦/١/١٩٨٣، في مدينة حلب، سلسلةً من المحاضرات تناول معظمها حدث الصوفانيّة، استجابةً لطلب المطران ناوفيطُس إدلبي، عاد في ١٧/١/١٩٨٣ إلى دمشق، وقاده الشوق مباشرةً إلى غرفة العذراء في الصوفانيّة، حيثُ صُمدت نسخةٌ عن الإيقونة العجائبيّة، فتلا المسبحة مع أَهل البيت وثلّةٍ من الأَصدقاء، وعندما فرغوا من تلاوتها، أَشعلوا النور، فإذا بالصورة التي لا يغطّيها زجاجٌ، تنضح زيتًا، ما أفعم قلوب الجميع حبورًا، وثقةً بأنّ الأُمّ السماويّة لم تهجر البيت مع إيقونتها، بل لبثت مقيمةً فيه، مع أَهله.

ويوم ٢٦/١/١٩٨٣، قصدت ميرنا وزوجها كنيسة الصليب، حيث كانت تقام صلاة الباركليسي، وفي نهايتها،

وُضعت الإيقونة الصغيرة، كالمعتاد، وسط الكنيسة، كي يتبارك بها الجمهور، وتقدّمت منها ميرنا، وقبّلتها قبلةً مترعةً شوقًا وحبًّا، وإذ بيدٍ تربّت على كتفها، والتفتت، فطلبت منها امرأةٌ أرمنيّةٌ حلبيّةٌ قطعة قطنٍ. فأعطتها قطعةً صغيرةً عثرت عليها في حقيبتها اليدويّة، ولكنّها عندما لحظت تجمهر الناس من حولها، لاذت بالفرار، عائدةً إلى بيتها، كي يهتمّ الناس بالعذراء، لا بشخصها.

وما هي سوى دقائق حتّى قُرع باب البيت، وإذ بالسيّدة الأرمنيّة عينها التي كانت قد طلبت من ميرنا قطعة القطن تعلن، بلكنتها الأرمنيّة، أنّها شُفيت من علّةٍ مزمنةٍ. فقد كانت تشكو من تكلّسٍ في كتفها، لازمها ثلاث عشرة سنةً، لم تستطع، في أثنائها، تحريك يدها التي امتقع لونها، وضرب، شيئًا فشيئًا، إلى السواد، ولم تُجْدِ كلّ محاولات الأطبّاء نفعًا في شفائها. وقد أفادت أنّها بعد أن أخذت القطنة من ميرنا، ركعت في الكنيسة تصلّي، وبغتةً شعرت بيدٍ تحطّ على رأسها، فالتفتت، ولكنّها لم ترَ سوى مصلّين خاشعين، غير مهتمّين بها. وما كادت تستأنف صلاتها حتّى

أحسّت، ثانيةً وثالثة، باليد عينها، تحطّ على رأسها، وبقوّةٍ جديدةٍ تسري في يدها، التي غدت تتحرّك حركةً طبيعيّةً، بلا عائقٍ ولا ألمٍ، فهرعت إلى بيت الصوفانيّة، كي تخبر بما جرى لها، وتشكر لسيّدة الصوفانيّة صنيعها العجيب. اسمها: أليس بناليان، وهي زوجة السيّد وانيس بناليان. أمّا الطبيب الذي كان يتابع علاجها منذ سنواتٍ، فهو الدكتور «پيير سلام»، وقد راجعته إثر عودتها إلى حلب، فأذهله شفاؤها من علّةٍ كان يعدّها مستعصيةً، ولم يتلكّأ، عندما طُلب منه، في تدوين تقريرٍ اعترف فيه بأنّ هذا الشفاء لا تفسير علميًّا له، وأنّه عملٌ إلهيٌّ معجزٌ، بيّنٌ.

وسرعان ما ذاعت أنباء الصوفانيّة، وقد أسهمت إذاعة مونتي كارلو في نشرها عبر العالم، فانهالت الرسائل على بيت العذراء، من كلّ صوب، وتكثّف تقاطر مواكب الزائرين والحجّاج. وحيثما كانت تحلّ ميرنا، وتصلّي بحضور جماهير، كانت يداها تفرزان زيتًا مقدّسًا.

عودة الإيقونة إلى المنزل

يـوم الإثـنين، في ١٩٨٣/٢/٢١، فـوجـئ أهـل الـبـيت بكاهنين أورثوذكسيّين يأتيان بكيسٍ من البلاستيك الأسود، يحتوي الإيقونة المقدّسة التي كانت قد نُقلت إلى كنيسة الصليب في تطوافٍ مهيبٍ، منقطع النظير. غمر الفرح قلب ميرنا بعودة حبيب غالٍ، إثر غيابٍ، غير أنّ نيقولا وإخوته اغتاظوا من الأسلوب المهين الذي أُعيدت به الإيقونة، فتبادلوا مع الكاهنين عبارات عتابٍ جارحةً، أحزنت الأب معلولي، الذي لجأ إلى الصلاة. وتمثّلاً به ركع الجميع أمام صورة الأمّ السماويّة التي عادت إلى بيتها، فاعترى ميرنا شعورٌ بقوّةٍ خفيّةٍ تدفعها نحو السطح، ولحق بها الجميع. وظهرت لها العذراء، وأدلت بالرسالة التالية باللهجة العاميّة:

«**أبنائي، الحكي بيني وبينكن، أنا رجعت لهون،**

لا تشتموا المتكبّرين، عديمي التواضع. المتواضع بيتعطّش لملاحظات غيره، ليصلح نفسه من الخلل. أمّا المتكبّر الفاسد، بيهمل، بثور، بعادي. المسامحة أفضل شي.

يلّلي بيدّعي البراءة والمحبّة أمام الناس، فهو نجس لدى الله. طالبة منكن طلب. كلمة بترسّخوها ببالكن، بتردّدوها دومًا. «الله بخلّصني، يسوع بنوّرني، الروح القدس حياتي، فأنا لا أخاف». مو هيك يا ابني يوسف!

احملوا وسامحوا. احملوا أقلّ بكثير ممّا حمل الآب».

عبارة: «موهيك، يا ابني يوسف»، التي لم يفهمها الحاضرون، آنذاك، كانت موجّهةً للأب يوسف معلولي، الذي كان قد صلّى، في قرارة نفسه، قُبَيْل الظهور، ملتمسًا من الأُمّ السماويّة إشارةً تنير له ولرفاقه الدرب، وتقيهم كلّ عثرةٍ وضياعٍ.

مساء يوم الجمعة، ١٩٨٣/٣/١٨، أي عشيّة عيد القدّيس

يوسف، عاد الزيت ينسكب من الإيقونة بغزارة، واستمرّ انسكابه متواصلاً، أيّامًا عديدةً.

وليلة ١٩٨٣/٣/٢٤، أي عشيّة عيد البشارة، صعد أهل البيت إلى سطح منزلهم، وتلوا المسبحة بخشوعٍ، راكعين، وكانوا نحو اثني عشر شخصًا. وفجأة رأت ميرنا كرةً من نورٍ، انبثق من وسطها شعاعٌ يحيق بالأُمّ السماويّة، التي تقدّمت نحو المصلّين متألّقةً، ساطعةً، فائقة البهاء، وبيدها مسبحة تتلألأ كالماس، لامست بها يد ميرنا، فتساكب منها، ومن الصليب المعلّق بطرفها، زيتٌ غزيرٌ، بحيث غسل به أحد الحاضرين وجهه، وتهاطل منه على الأرض مقدارٌ كثير، وترك بقعةً ما زالت حتّى اليوم ظاهرةً، وقد حُوِّطت بحجارٍ، لكيلا تدوسها قدم.

وفي أثناء هذا الظهور، أفضت العذراء بالرسالة التالية:

«أبنائي، مهمّتي انتهت.

«في هذه الليلة، قال لي الملاك: مباركةٌ أنت في

النساء. ولم أستطع أن أقول له إلاّ: «ها أنا أمة الربّ».

«أنا مسرورة. أنا لا أستحقّ أن أقول لكم: مغفورةٌ زلاّتكم، لكنّ إلهي قالها.

«أسّسوا كنيسة، لم أقل ابنوا كنيسة. الكنيسة التي تبنّاها يسوع، كنيسةٌ واحدةٌ، لأنّ يسوع واحد. الكنيسة هي ملكوت السموات على الأرض. من قسّمها أخطأ. ومن فرح بتقسيمها، فقد أخطأ. بناها يسوع، كانت صغيرة، وعندما كبرت انقسمت، ومن قسّمها ليس فيه محبّة.

اجمعوا. أقول لكم: صلّوا، صلّوا، وصلّوا. ما أجمل أبنائي راكعين، طالبين! لا تخافوا: أنا معكم.

لا تتفرّقوا مثل تفريق الكبار، أنتم ستعلّمون الأجيال كلمة الوحدة، والمحبّة والإيمان.

صلّوا، لساكني الأرض والسماء».

وفي نهاية الظهور، وقبل أن تستعيد ميرنا وعيها، قالت:

«....آب، ضابط الكلّ...» وتابع الحاضرون من بعدها تلاوة قانون الإيمان. وقد أفادت ميرنا، عندما سُئلت، أنّ السيّدة العذراء هي التي استهلّت تلاوة قانون الإيمان، فتابعت هي. ولا بدّ من الإشارة، في هذا الشأن، إلى أنّ السيّدة العذراء كانت، في ميديوغوريه، قد حرَّضت، بإلحاحٍ، على تلاوة قانون الإيمان هذا، الذي كانت تعدّه من أجمل الصلوات، ولطالما تصرَّفت هناك، على نحو ما تصرّفت مع ميرنا، إذ أَلِفت، بعد الفراغ من إملاء رسائلها، المبادرة إلى هتاف: «نؤمن بإلهٍ واحدٍ...» فيتابع الرؤاة: «آبٍ ضابط الكلّ...» ويشترك الجمهور في إكمال تلاوة قانون الإيمان.

وفي تلك الفترة نُفّذت رغبة العذراء التي أعربت عنها في مناسبةٍ سابقةٍ، فانتُزع حجرٌ من واجهة البيت الخارجيّة، ووُضعت، مكانه، نسخةٌ عن الإيقونة العجائبيّة، التي كانت قد ظلّت تنضح زيتًا في البيت، بينما كانت الإيقونة الأُخرى، في كنيسة الصليب. وأُغلقت تلك المشكاة بلوحٍ زجاجيٍّ، ظهرت عليه آثار زيتٍ في مناسباتٍ عديدةٍ.

وحتّى اليوم، ما زال كثيرون ممّن يمرّون أمام بيت العذراء، يتوقّفون لحظاتٍ، أمام تلك الصورة، ويرسمون إشارة صليبٍ، ويتلون صلاةً قصيرةً، ثمّ يتابعون دربهم.

واستمرّ الزيت ينسكب من يدي ميرنا ومن صورة العذراء.

سمات الصلب ترتسم على ميرنا

منذ مطلع شهر تشرين الأوّل ١٩٨٣، عاد الزيت ينسكب بغزارةٍ من الإيقونة ومن نسخٍ كثيرةٍ عنها. وتجاوز عددها ٩٠٠ صورة. واستمرّ ذلك طيلة شهر تشرين الثاني، ما أوحى للأب معلولي أن يطلق على ذلك الشهر تسمية «شهر الزيت المقدّس». وأصبح كثيرون يكتبون أسماءَهم على ظهر صُوَر سيّدة الصوفانيّة، ويلقونها فوق سرير ميرنا، ويعودون، فيجدونها مغمورةً بالزيت.

واتّفق أن غطّى الزيت إحدى تلك الصور، وهي بيد شابٍّ مسلمٍ ماركسيٍّ، يمتلك موهبة الرسم، كانت قد تنامت إليه أنباء ما يجري في الصوفانيّة، فدفعه الفضول إلى تقصّي حقيقة الأمر. وكان أن هزّ منظر الزيت الذي غشى صورة العذراء بين يديه كلّ كيانه. فصلّى تلك الليلة، للمرّة الأولى

في حياته؛ وعبّر، لاحقًا، عن شكره وتأثّره، برسمه ثلاث صُوَر للعذراء، عُلّقت على جدران بيت الصوفانيّة.

وفي تلك الفترة، أيضًا، أَخذت سمات الصلب تتجلّى على جبين ميرنا وعلى يديها وقدميها وجنبها، على غرار جراح المصلوب. وقد تفجّر الدم من هذه المواضع كلّها يوم الجمعة ١٩٨٣/١١/٢٥، وشهد هذا التفجّر ثلّةٌ من الأَطبّاء، وأَصحاب الاختصاص، ولشدّة أَلم ميرنا، غدا صوتها وجيعًا، وبكاؤها حادًّا، حسب وصف زوجها. ولكن في اليوم التالي كانت كلّ آثار الجراح قد تلاشت تلقائيًّا.

وفي تلك الليلة حدث لميرنا انخطافٌ رأت، في أَثنائه، السيّدة العذراء، التي بلّغتها الرسالة التالية:

«**هذا كلّ ما أُريد. ما جئت لأُفرّق. حياتُك الزوجيّة ستبقى كما هي.... بتحبّي تجي لعندي؟... تعي... بيكفي إنّك بدّك تجي**».

عندما قالت لها العذراء «**تعي**»، حاولت ميرنا أَن تخطو صوب الأُمّ السماويّة، ولكنّها لم تستطع. وقد أَفادت لاحقًا:

«رأيت نفسي بين الغيوم، وشاهدت أُمّي مريم العذراء. كانت تبتسم لي، وأنا، أيضًا أبتسم، ولكأنّها أُختي وصديقتي».

حدث ذلك عشيّة ذكرى ظهور السيّدة العذراء الأوّل في الصوفانيّة، وفي اليوم التالي انسكب الزيت من الإيقونة الثانية، التي كانت موضوعةً في مشكاةٍ عند مدخل البيت الخارجيّ، عندما حملتها ميرنا. ولّما انتصف الليل اقترح نيقولا أن يرتّل الموجودون، بمناسبة الذكرى، «سنة حلوة يا مريم»، فانسكبت دمعتان من صورةٍ مكبّرةٍ للإيقونة، كان قد أهداها أحد الزائرين لبيت العذراء، احتفاءً بالمناسبة العزيزة. وتكرّر انسكاب الدمعتين، في الليلة التالية، على مرأى جمعٍ غفيرٍ من المصلّين والزائرين.

في مطلع شهر آذار ١٩٨٤، كان نيقولا في اللاذقيّة يتابع مشروع المطعم الذي كان يؤسّسه هناك، وكانت ميرنا ترافقه. ولكنّهما ارتأيا أن تعود ميرنا إلى دمشق، بعد ١٩ آذار، للمشاركة في احتفالات عيد الفصح الذي كان تاريخه مشتركًا بين الطوائف الأُرثوذكسيّة والكاثوليكيّة، في تلك السنة. وفي

هذه الأثناء، اتّصل والد ميرنا هاتفيًّا، سائلاً الصلاة من أجل شابٍّ رياضيٍّ من مدينة حماة، يدعى عامر قسطون، راقدٍ في مستشفى تشرين بدمشق، يعاني سكرات الموت. وكان الأَطبّاء قد حاولوا إِجراء عمليّةٍ جراحيّةٍ له، ولكنّهم سارعوا إِلى إِغلاق بطنه، بعد فتحه، إِذ تبيّنوا وجود سرطانٍ منتشرٍ فيه، لا أَمل في شفائه.

وعادته ميرنا في المستشفى، وصلّت له، وكانت صورةٌ لسيّدة الصوفانيّة موضوعةً تحت وسادته ففاض منها زيت دُهن به جسم المريض الذي أَخلد، في الحال، إِلى النوم. ولمّا استيقظ طلب طعامًا، فأَثار طلبه دهشةً عامّةً، وخيّل إِلى طبيبه أَنّ مريضه ينعم بصحوة الموت، فلم يمانع بإِطعامه. ونام المريض ثانيةً، عقب تناوله الطعام، وتمّ له شفاءٌ ناجزٌ، عاد، بفضله، يمارس حياةً طبيعيّةً.

وتجدّدت ظاهرة سمات الصلب يوم الخميس العظيم الواقع في ١٩/٤/١٩٨٤، وشهدها عددٌ من الأَطبّاء والكهنة. ولكن، في هذه النوبة كان جرح الجنب أَكبر من السابق،

وكان انفتاحه من الداخل إلى الخارج، وكأنّه تفجّر، وقد دام أَلمه بضعة أيّامٍ. ولكن ما إن حلّ ليل ذلك اليوم عينه حتّى اختفى كلّ أثرٍ للجراح في اليدين والقدمين والجنب.

وبما أنّ في دمشق تقليدًا شائعًا يقضي بزيارة سبع كنائس مساء يوم الخميس العظيم، فقد أمّ بعضهم بيت العذراء في الصوفانيّة، على أنّه إحدى الكنائس السبع التي اعتزموا زيارتها.

وبعد ظهر يوم الجمعة العظيمة، الواقع في ١٩٨٤/٤/٢٠، اعترى ميرنا انخطافٌ، رشح في أثنائه الزيت من وجهها وعنقها، فضلاً عن يديها. دام الانخطاف ساعةً ونصف الساعة، وفي المساء كانت ميرنا وزوجها يشتركان بطقوس جنّاز المسيح، كأيٍّ من المصلّين العاديّين.

ويوم عيد الصعود الواقع في ١٩٨٤/٥/٣١، اعترى ميرنا انخطافان متتاليان، وهي كانت، خلال الأيّام القليلة السابقة، متوتّرةً توتّرًا شديدًا. وقد وصف الأب معلولي ما جرى، كما يلي:

«حوالي الساعة الرابعة دخلت ميرنا غرفتها، وتمدّدت على سريرها، وبدأ الزيت يرشح من وجهها، وعنقها، ويديها، وعينيها بغزارةٍ، مسبّبًا لها آلامًا فظيعة. فاضطررنا لأن نمسك يديها بقوّةٍ، كي نمنعها من اقتلاع عينيها، بسبب حدّة الألم. وذلك حتّى الساعة الرابعة وإحدى عشرة دقيقة تقريبًا. ومسحوا عينيها ووجهها وعنقها بقطنٍ وبمحارم ورقيّةٍ. وفي الساعة الرابعة، والدقيقة الثامنة والثلاثين، فتحت عينيها، وبدأت تتكلّم، وهي تبكي من ألم عينيها. وفي تمام الساعة الرابعة، والدقيقة الخامسة والأربعين قالت: «رأيته» (أي يسوع)، وابتسمت. وفي الساعة الرابعة والدقيقة الثامنة والخمسين، فتحت عينيها، وأخذت تتكلّم... وفي الساعة الخامسة، أملت ما سمعت.

وكانت الرسالة هي التالية:

«إبنتي،

أنا البداية والنهاية،

أنا الحقّ والحرّيّة والسلام.

سلامي أُعطيكم. لا يكن سلامك على ألسنةِ الناس، سواءٌ أكان خيراً أم شرًّا. وظُنّي بنفسك شرًّا. فمن لا يبتغِ رضى البشر، ولا يخشى عدم رضاهم، يتمتّع بالسلام الحقيقيّ. وهذا يكون فيّ أنا.

عيشي حياتك هنيئةً مستقلّةً. لا تحطّمك الأتعاب التي باشرتها من أجلي. بل افرحي. أنا قادرٌ على أن أُكافئك، وأتعابك لن تطول، وأوجاعك لن تدوم. صلّي بعبادة. فالحياة الأبديّة تستحقّ هذه العذابات. صلّي لتتمّ فيك مشيئة الله، وقولي:

«يا يسوع الحبيب،

هب لي أن أستريح فيك، فوق كلّ شيءٍ، فوق كلّ خليقةٍ، فوق جميع ملائكتك، فوق كلّ مديحٍ، فوق كلّ سرورٍ وابتهاجٍ، فوق كلّ مجدٍ وكرامة، فوق جميع جيش السماء، فإنّك أنت وحدك العليّ، أنت وحدك القدير، والصالح فوق كلّ شيءٍ. فلتأت إليّ، وتفرّج عنّي،

وتفكّ قيودي، وتمنحني الحرّيّة. فإنّني بدونك لا يتمّ سروري. بدونك مائدتي فارغة».

حينئذٍ آتي لأقول: ها أنذا أقبلت، لأنّك دعوتني».

وعندما سأل الأب معلولي ميرنا عمّن أدلى بالرسالة، أَجابت أنّها سمعت صوت رجلٍ عظيمًا. وبدا لها أنّ العالم كلّه يسمعه. ولكنّها لم ترَ وجهه ولا ملامحه، وتفاصيل جسمه. فهو إنّما كان جسمًا من نورٍ ساطعٍ، وكان هذا النور يشعّ من داخله، والصوت يصدر من ذلك النور عينه.

مدير إِذاعة نوتردام الباريسيّة في الصوفانيّة

كان الأَب «پيير بوز» من الآباء البيض سابقًا، وقد أَتقن اللغة العربيّة، ثمّ التحق بأَسقفيّة باريس، وعُهدت إِليه إِدارة إِذاعة نوتردام. وقد دعاه الأَب الياس زحلاوي إِلى دمشق، كي يطّلع بنفسه، وعن كثب، عمّا يجري في الصوفانيّة، فجاء وأَقام في دمشق بين ٤ و١٥ تمّوز ١٩٨٤. ومنذ وصوله، بات يختلف إِلى بيت العذراء في الصوفانيّة، كلّما سنحت له فرصةٌ، فيتحدّث مع الأَب معلولي، ومع الزائرين، ويستطلع آراءهم، إِذ كانت ميرنا في اللاذقيّة مع زوجها، الذي كان دائبًا على إِنهاء مشروعِ مطعمٍ كان مزمعًا إِقامته هناك.

منذ الوهلة الأولى كان تأثّر الأَب بوز شديدًا بجوّ الصلاة السائد في بيت الصوفانيّة، قارنًا الحرارة بالبساطة. وأَبدى

رغبته في مقابلة ميرنا، فعادت إلى دمشق يوم ١٩٨٤/٧/٩، وفي اليوم التالي، صلّى في غرفتها، حيث توجد الإيقونة العجيبة، معها، ومع كهنةٍ وأشخاصٍ آخرين، وما إن خرجوا حتّى شاهد الزيت يغشى راحتي ميرنا، فانحنى ومسحه بقطنة، باحترامٍ بالغٍ.

وفي اليوم التالي عاد مساءً للمشاركة في الصلاة الجماعيّة، وبعد أن غادر المصلّون، رغب في الصلاة ثانيةً مع ميرنا في الغرفة، وطلب نسخةً من صورة سيّدة الصوفانيّة، فأُعطيها، وبعد أن تحقّق من خلوّها من كلّ مادّةٍ غريبةٍ، ناولها لميرنا، التي رفعتها إلى مستوى وجهها تقريبًا، وصلّيا معًا، وهو يراقبها، مردّدًا، في سرّه: «يا ربّ، لا أُريد عجيبة»، وبغتةً، ورغم توسّله هذا، رأى الزيت ينساب من تلك الصورة، منبثقًا من فم العذراء. فأَخذ به الاضطراب كلّ مأخذٍ، وشرع يصيح بالعربيّة، وباللهجة المغربيّة التي كان قد أَلفها: «هذا من عند ربّي». فقال له الأَب معلولي، الذي كان إلى جانبه: «مثلما سال الزيت من فم العذراء، ينبغي أَن تسيل الحقيقة من فمك، في باريس».

ثمّ قابل الأب بوز، في حلب، السيّدة أليس بناليان، التي كانت قد نعمت بشفاءٍ عجيبٍ بفضل سيّدة الصوفانيّة، وقابل طبيبها الدكتور بيير سلام، ثمّ التقى، في اللاذقيّة، نيقولا، زوج ميرنا، وتبيّن التحوّل الروحيّ العميق الذي طرأ عليه، إذ اعترف له نيقولا: «قبل هذه الظاهرة، كنت أموت خوفًا لمجرّد ذكر الموت... فقد كنت أعتقد أنّه نهاية كلّ شيءٍ... أمّا الآن، فقد أصبح لي الموت هو البداية... وإنّي لأتمنّاه كي أرى الحقيقة الكاملة، التي تكشّفت لي جوانب صغيرةٌ منها بفضل هذه الظاهرة....».

ولدى عودة الأب بوز إلى باريس سجّل شريطًا أذاعه من محطّة نوتردام، أكّد فيه الريَب التي كانت تساوره وهو قادمٌ إلى دمشق، واليقين الذي سكنه بعد أن رأى بعينيه، وسمع بأذنيه، وختم شريطه بالقول: «لكم أن تصدّقوا أو لا... وأعرف أنّكم، كغربيّين، ستقاومون... تمامًا كما قاومت أنا... إنّما أريد أن أؤكّد لكم، أيّها السامعون، أنّني، منذ ذلك الحين، أخذت أصلّي على نحوٍ أفضل....».

ومنذئذٍ غدا، في أثناء الصلوات التي يحتفل بها في كنيسة نوتردام، الأُسقفيّة، يطوف بصورة سيّدة الصوفانيّة.

انخطافٌ ورشح زيت
بحضور السفير البابويّ

يـوم الجمـعـة الـواقـع في ١٩٨٤/٩/٢٧، اعترى ميرنـا انخطافٌ، ائتمنتها، في أثنائه، السيّدة العذراء على سرٍّ خاصٍّ، ما زال مطويًّا، بناءً على أمر العذراء بكتمانه. وبلّغتها العذراء، أيضًا، رسالةً، ولكن، عندما أفاقت ميرنا من انخطافها، كانت امرأةٌ ضريرةٌ مسلمةٌ راكعةٌ بجانب سريرها، تبتهل إلى العذراء ابتهالاً جريحًا، كان عميق الأثر في جميع الحاضرين، وقد بلغ التأثّر بميرنا مبلغًا، ذهلت معه عن جزءٍ من رسالة العذراء، فلم تذكر منها سوى قولها: «**عيشي حياتك. ولكن الحياة لا تمنعك من أن تتابعي الصلاة**».

ويوم ١٩٨٤/١١/٤ التقى السفير البابويّ بدمشق، ميرنا

في دير «أخوات يسوع الصغيرات»، في حيّ باب توما، وصلّى معها، بحضور ومشاركة الراهبات وبضعة ضيوف. وانساب الزيت من صورةٍ صغيرةٍ للعذراء. كانت قد أُعطيتها ميرنا قبيل الصلاة، وكانت تحملها، فأخذها السفير البابويّ، وأودعها غرفة نومه ذكرى غاليةً، وحارسةً فائقةً.

١٩٨٤/١١/٢٦: الذكرى السنويّة الثانية

سحابة ذلك اليوم، غصّت الدار بالزائرين والمصلّين، وفي الساعة السادسة مساءً أنشد قسمٌ من جوقة الفرح، أناشيد «المدائح»، بحضور رهطٍ من الكهنة، والأطبّاء، والمغنّي اللبنانيّ طوني حنّا.

في الساعة الحادية عشرة إلاّ ثلثًا، انسحبت ميرنا إلى غرفتها، واعتراها انخطافٌ، وبعد برهةٍ شوهدت تحرّك رأسها يمنةً ويسارًا، وتحاول فتح عينيها، ثمّ لا تلبث أن تغمضهما، على نحوٍ غير مألوفٍ، وتحاول شدّ جفونها إلى الأسفل، وتجيل عينيها في سقف الغرفة، ولا يبدو عليها أيّ تأثّرٍ بالنور الباهر المسلّط عليها من آلات تصوير الفيديو.

كانت تبكي وتهزّ رأسها، وتبدو عليها أمارات الارتباك والحيرة. وانحنت عليها إحدى صديقاتها، وعقب تمتمةٍ

وجيزةٍ، أعلنت أنّ ميرنا لا ترى شيئًا. فقد كانت فقدت البصر، إثر مشاهدتها نورًا فائق السطوع. وقد ارتأى الشمّاس الأورثوذكسيّ «سبيرو جبّور»، الذي كان ملازمًا لبيت الصوفانيّة، في تلك الفترة، أنّ ما حدث لميرنا هو تجديدٌ لما حدث لشاول عند مشارف دمشق، لنحو ألفي سنةٍ خلت، مؤكّدًا أنّها ستستعيد بصرها بعد ثلاثة أيّام.

ولا بدّ هنا من الإشارة إلى أنّ ميرنا، كانت، منذ بدء الظاهرة قد قدّمت للعذراء كلّ شيءٍ، قائلةً: «أقدّم لك عيوني من أجل الذين لا يرون، وقلبي من أجل ضعفاء القلوب، ورجليّ من أجل من لا يقوون على السير!». ويبدو أنّ العذراء امتحنت، يومها، صدق تقدمتها.

وقبَيْل منتصف الليل طلبت ميرنا شيئًا من الماء، ولكنّها رفضت كلّ طعامٍ لأنّها كانت قد اعتزمت الصوم التامّ مدى ثلاثة أيّامٍ، اعتبارًا من منتصف ليلة السادس والعشرين من تشرين الثاني.

ثمّ اقتادها زوجها إلى فناء الدار، حيث قطعت معه قالب

حلوى جيء به احتفالاً بالذكرى السنويّة الثانية، غير أنّها لم تتناول منه شيئًا، وعادت إلى سريرها، وهي لا تبصر شيئًا. واستمرّت الصلاة حتّى الفجر.

في اليوم التالي جاءها الأب معلولي بالقربان المقدّس، وعندما تناولته عبق منها شذًى غمر فوحه البيت كلّه. وكان ذاك كلّ ما تناولته ميرنا في ذلك اليوم.

وجيء باختصاصيٍّ في طبّ العيون، أكّد أنّ عينيها سليمتان عضويًّا. ورفضت ميرنا استخدام أيّ علاجٍ، فقد كانت واثقةً أنّ طبيبها هو الله وحده.

صباح يوم ١٩٨٤/١١/٢٨ جاءها الأب زحلاوي بالقربان المقدّس، ففاح البيت، أيضًا، بموجاتٍ متعاقبةٍ من الشذا الطيّب. وجاءها أيضًا بالقربان المقدّس في الغداة، يوم الخميس ١٩٨٤/١١/٢٩، ولكنّها، عوضًا عن تناوله بفرحٍ، جريًا على عادتها، لم تفتح فاها، بل قالت مستغربةً: «كمان مرّة؟» (أمرّةً أخرى؟). وإذ استمرّ الأب زحلاوي يضغط على شفتيها، تناولت، أخيرًا، وفي الحال فاح العطر ذاته الذي

كان قد انتشر في اليومين السابقين. وعقب صلاة الشكر، استوضح الأب زحلاوي عن سبب قولها: «كمان مرّة؟». فأجابت: «لأنّك كنت قد ناولتني قبل ذلك». ولمّا أكّد أنّ ذلك لم يحصل، بلغت دهشتها أوجها. فسألها: «ما كان شكل القربانة الأولى؟». فقالت: «بيضاء ومستديرة، وقد ابتلعتها من غير أن أمضغها. أمّا الثانية فمضغتها، ثمّ ابتلعتها». وقد فسّر الأب معلولي ما حدث بأنّه ما يُدعى «مناولة سرّيّة»، حدث مثلها لبعض القدّيسين والصوفيّين.

وظُهرَ ذلك اليوم، إذ كانت ميرنا ما زالت نائمةً، تقيّأت زيتًا عطرًا، وفي نحو الساعة الحادية عشرة ليلاً، إذ كانت تشعر بحاجةٍ إلى التقيّؤ، فتحت عينيها بتؤدّةٍ، وكانت والدتها أمامها، فصاحت: «أمّي، أنا أراكِ!»، وارتمت كلٌّ منهما على عنق الأخرى، مقبّلةً، باكيةً. وهتف الشمّاس سبيرو جبّور منشدًا: «المسيح قام من بين الأموات» وكرّرها مرّةً تلو مرّةٍ، وهو ينحني ساجدًا، مثلما يفعل أمام الهيكل.

وأفادت ميرنا، في اليوم التالي، أنّ غشاوة رقيقةً كانت،

ما زالت تغشى نظرها، وقد دام هذا الشعور نحو أُسبوعين. وأكّدت، أَيضًا، أنّها، مع سعادتها باستعادة البصر، وإراحة ذويها، كانت أكثر سعادةً برؤية النور الإلهيّ، وهي فاقدة البصر.

وقد حرصت طيلة تلك الأيّام الثلاثة، التي فقدت في أثنائها البصر، على البقاء مستيقظةً، كيلا تفقد ذرّةً من السعادة التي كانت تسكن نفسها مع النور السماويّ الذي غمرها.

شاعرٌ ومرتّلٌ

لقد حرّكت أحداث الصوفانيّة أوتار القلوب، وشحذت القرائح، وكان أوّل من تفتّقت قريحتهم عن أناشيد تشيد بالحدث الفريد السيّد عوض، شقيق نيقولا الأكبر، الذي، مع كونه شبه أمّيٍّ، راح يعبّر عن شكره للعذراء التي اختارت بيت ذويه مسكنًا لها، بأناشيد وضع هو كلماتها البسيطة، وصارت ترتّل على أنغامٍ مألوفةٍ، ويردّدها زائرو البيت والمصلّون فيه، كلّ يومٍ. ومن أكثر تلك الأناشيد رواجًا ذاك الذي مطلعه:

العدرا بالصوفانيّة بتجمّعنا ليليّة

للسلام بنصلّي وللوحدة المسيحيّة

وقد أصبح بمثابة نشيد الصوفانيّة

وفضلاً عن ذلك الشاعر المرتجل، اختارت سيّدة الصوفانيّة

مرتّلاً فذًّا يحظى في كلّ أرجاء العالم العربيّ بشهرة مدوّيةٍ، هو وديع الصافي، الذي كان قد قدم إلى دمشق، لإحياء سهرة رأس سنة ١٩٨٥، في فندق الميريديان، وبغتةً انتابه ألمٌ بحنجرته، فأخبره صديقه وزميله المغنّي طوني حنّا بما يجري في الصوفانيّة، ولكنّه لم يفلح في النفاذ إلى قناعاته. ومع ذلك التمس طوني حنّا من ميرنا وزوجها أن يرافقاه في زيارةٍ لوديع الصافي. وفي الفندق أعطت ميرنا الفنّان الكبير صورةً لسيّدة الصوفانيّة، أودعها في جيبه، ثمّ ركع طالبًا منها أن تصلّي فوق رأسه، فامتثلت على مضضٍ، إذ كانت تأبى أن يظنّ الناس لديها قدرةً شفائيّةً، وتؤثر أن يصلّوا هم مباشرةً للربّ ويستشفعوا بأمّه. وانساب الزيت على رأس الصافي، فتأثّر أبلغ تأثّرٍ، واستلّ صورة العذراء من جيبه، والتمس من ميرنا أن تكتب له كلمةً على ظهرها، فإذ بالصورة، أيضًا، تنضح زيتًا، فاجهش بالبكاء، وانطلق يصدح بأناشيد العذراء المعروفة. وقدم، في الغداة، إلى بيت العذراء، في الصوفانيّة، حيث دوّى صوته المنقطع النظير، وروى للحاضرين ما جرى له بالأمس. ومنذئذٍ انتهج درب غناءٍ دينيٍّ فريدٍ.

ميرنا في حالة الانخطاف مساء الأحد ١٩٨٩/١١/٢٦

الأب البروفسّور عادل تيودور خوري يسجّل رسالة الانخطاف
مساء ١٩٨٩/١١/٢٦

السيّد جان الأخرس والسيّدة نهى نصّور والدا ميرنا
والسيّدة أليس والدة نقولا

ما أجمل العائلة التي شعارها الوحدة والمحبّة والإيمان،
دربها دربي، عونها أمّي (السيّد المسيح)
نقولا... ميريام... ميرنا... جان عمّانوئيل

الأب يوسف معلولي مع ميرنا بعد انفتاح جرح الجبين بلحظات
يوم خميس الأسرار ١٩٩٠

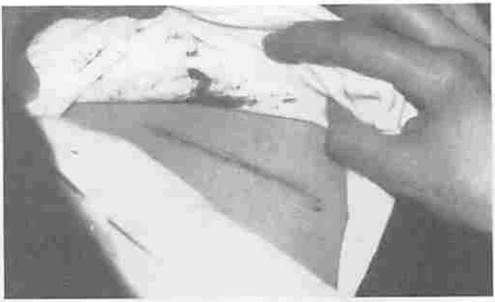

الجرح الذي ظهر في خاصرة ميرنا وهو بقياس ١٢ سم

الجراح في يدَي ميرنا

قدما ميرنا
وقد انفتح فيهما
جرحان دون انسكاب
أيّ نقطة من الدم
وذلك بحضور
حشد كبير بينهم
عدد من الأطبّاء

ميرنا تشاهد يسوع بعد الانخطاف يوم سبت النور عام ٢٠٠٤

السفير البابويّ لويجي أكولي يقيم الذبيحة الإلهيّة في الصوفانيّة مع الأخوين جاكار والأب فارس معكرون (مطران البرازيل حاليًّا)

ميرنا في المحافظات السوريّة: انخطافٌ ورسائلُ

في ١٩٨٥/٥/١، وعقب زيارتها لمدينة حلب، انتاب ميرنا انخطافٌ دام عشر دقائق، أدلت فيه السيّدة العذراء، وعيناها محدّقتان إلى الأرض، بالرسالة التالية:

«أولادي اجتمعوا. قلبي مجروح. لا تدعوا قلبي ينقسم على انقسامكم!».

ثمّ قالت لميرنا:

«ابنتي، سأُعطيك هديّة أتعابك».

وبعد أيّامٍ معدوداتٍ كانت ميرنا تزور كنائس في مدينة الحسكة، فعراها أيضًا انخطافٌ، بلّغتها السيّدة العذراء، في أثنائه، الرسالة الخطيرة التالية:

«الكنيسة هي ملكوت السموات على الأرض. من قسّمها فقد أخطأ، ومن فرح بتقسيمها فقد أخطأ».

ثمّ خصّت ميرنا بقولها:

أنا مسرورةٌ، لا تخافي. أنا معك. سأُربّي جيلي فيك».

انخطافٌ آخر اعترى ميرنا في منزلها بدمشق، عشيّة عيد انتقال العذراء، في ١٩٨٥/٨/١٤. ففيما هي كانت تشارك الجمع الصلاة، في المنزل، غشى الزيت وجهها ويديها. وقد دام الانخطاف ربع ساعة، وفي أثنائه، بلّغت العذراء، الرسالة التالية، باللهجة العامّيّة:

«أبنائي، كلّ عام وأُنتو بخير... هذا هو عيدي لمّا بشوفكن كلّكن مجتمعين مع بعض... صلاتكن هي عيدي، إيمانكن هو عيدي، اتحاد قلوبكن هو عيدي».

وفي غضون ذلك الانخطاف طرحت ميرنا على السيّدة العذراء سؤالاً كان الأب معلولي قد كلّفها، قبل شهرين، بطرحه عليها، حول واجب إطلاع المسؤولين الكنسيّين على وقائع الظاهرة. وقد أجابت العذراء أن لا بأس بتبليغ

معلومات عن الظاهرة لمن يهتمّ بها حقًّا.

انـخـطـافٌ آخر حـدث عشيّة عيـد مـيلاد العـذراء في ١٩٨٥/٩/٧، وتميّز بأُمورٍ ثلاثة:

– مدّة الانخطاف بلغت قرابة ساعة تخلّلها ظهور الزيت من عينيي ميرنا.

– حلّ يسوع محلّ أُمّه في الظهور، وسط نورٍ ساطعٍ، لم تستطع ميرنا معه تبيّن ملامح الربّ، وظلّ بصرها مشوّشًا بعد غياب الظهور، بتأثير قوّة النور، فترةً غير قصيرة.

– بلّغ يسوع رسالةً مذهلةً، في بُعدها اللاهوتيّ، وفي تأكيد مكانة العذراء الفريدة، في تدبير الخلاص، بعباراتٍ لم يُسمَع لها نظيرٌ. وهذا نصّها:

«أنا الخالق، خلقتها لتخلقني

افرحوا لفرح السماء، لأنّ ابنة الآب، وأُمّ الله، وعروس الروح وُلدت،

ابتهجوا لابتهاج الأرض، لأنّ خلاصكم قد تحقّق».

صحافيّ فرنسيّ يزور الصوفانيّة

يوم ١٩٨٥/١٠/٢٧ زار بيت العذراء في الصوفانيّة صحافيٌّ فرنسيٌّ يدعى روبير پيتري، وهو مدرّس الصحافة في جامعة السربون بباريس، وكان قد قدم إلى دمشق لإلقاء دروسٍ ومحاضراتٍ بتكليفٍ من الجامعة العربيّة، ومن الحكومتين السوريّة والفرنسيّة. وقد تسنّت له مشاهدة انبجاس الزيت من يدي ميرنا مرّةً أولى، في ذلك اليوم، ومرّةً ثانيةً عندما كان في عداد الذين رافقوا ميرنا في زيارةٍ إلى مطرانيّة حوران بخبب، يوم ١٩٨٥/١٠/٣٠

ليلة الذكرى الثالثة للظاهرة: ١٩٨٥/١١/٢٦

بعد ظهر ذلك اليوم، اعترى ميرنا انخطافٌ، وللمرَّة الأولى، غطّى الزيت قدميها، أيضًا. كانت متشنّجة، تعاني ألمًا شديدًا من عينيها، تبكي، وتجول برأسها يمنةً ويسارًا، وأمّها القابعة إلى جانبها، تحاول إمساك يديها لكيلا تؤذي بهما عينيها.

وقد عمد طبيبٌ لبنانيٌّ، كان جاثيًا قريبًا منها، إلى فصل ظفر سبّابة يدها اليمنى عن اللحم، بواسطة سكّينٍ حادٍّ، فلم يصدر منها أيّ ردّ فعلٍ، ولكنّها تألّمت، من ذلك، ألمًا شديدًا عندما صحت، وهي تهتف «يا ربّ»، دامعة العينين، راسمةً إشارة صليبٍ واسعةً. ثمّ أعلنت أنّها لا ترى شيئًا، وفقًا لما كان يحدث لها كلّما رأت الربّ يسوع. وطلبت إخلاء

الغرفة من جميع الموجودين ما خلا الكهنة. وكانت لا تنفكّ تردّد قول: «يا عدرا!».

ولمّا سكن روعها بعض الشيء، سُئلت عمّا رأت، فقالت: «رأيت يسوع وكلّمته. ولكنّني لست أفهم شيئًا. إنّها المرَّة الأولى التي أُخاطب فيها يسوع ولكنّني لا أفهم شيئًا».

وبناءً على طلب الكهنة تلت الحوار الذي جرى بينها وبين الربّ، كالتالي:

«ابنتي،

أتريدين أن تكوني مصلوبةً أم ممجّدةً؟

– ممجّدة!

(ابتسم يسوع، وسأل):

– أتفضّلين أن تكوني ممجّدة من الخلق أم من الخالق؟

– من الخالق.

– وهذا يكون بالصلب. لأنّك، كلّما نظرت إلى الخلائق، ابتعد عنك نظر الخالق.

– أريدك، يا ابنتي، أن تجتهدي بالصلاة، وتحتقري نفسك. فمن احتقر نفسه، ازداد قوّةً ورفعةً من الله.

أنا صُلبت حبًّا بكم. وأُريدكم أن تحملوا وتتحمّلوا صليبكم من أجلي، بطوعٍ ومحبّةٍ وصبرٍ، وتنتظروا قدومي. فمن شاركني بالعذاب، أُشاركه بالمجد.

ولا خلاص للنفس إلاّ بالصليب.

لا تخافي، يا ابنتي: سأُعطيك من جراحاتي، ما تفين به ديون الخطأة. فهذا هو الينبوع الذي ترتوي به كلّ نفس.

وإذا طال غيابي، واحتجب النور عنك، فلا تخافي، إنّما هذا لتمجيدي.

اذهبي إلى الأرض التي عمّ فيها الفساد.

وكوني بسلام الله!».

ولمّا فرغت ميرنا من إملاء هذه الرسالة، استوضحت: «هل في هذه الأقوال ما يدعو إلى الاطمئنان، أم إنّها مخيفة؟».

مضى وقتٌ غير قصيرٍ قبل أن تستعيد ميرنا بصرها. وحينئذٍ نهضت، وانضمّت إلى الجمهور المحتشد في فناء الدار، مشاركةً إيّاه الصلاة.

وحريٌّ بالتنويه أنّ ما لفت نظر ميرنا، في ذلك الظهور، هو النور الباهر الذي كان يحيق بيسوع، وجماله الفائق.

وفي ليلة ١٩٨٥/١١/٢٧، انتاب ميرنا وجع رأسٍ لا يُطاق، فاضطرّ ذووها إلى شدّ صدغها بحزامٍ شدًّا وثيقًا. ومع ذلك كانت لا تني تجأر من الألم مردّدةً: «يا عدرا... يا ربّ... من أجل الخطأة....». لقد شرع الله يعطيها من جراحاته ما تفي به ديون الخطأة، تنفيذًا لوعده لها. وهي شرعت تشاركه العذاب كي يشركها بمجده. ظلّت بضع ساعاتٍ على هذه الحال، ثمّ ساد محيّاها السكون، وأخذت ترنّم، ويشاركها الحاضرون الترنيم والتسبيح.

قداسة البطريرك زكّا الأوّل عيواص يستقبل ميرنا
والأب جان بول دوفودو بتاريخ ١٩٩٦/٦/١

لقاء في بطريركيّة السريان الأرثوذكس
مع قداسة البطريرك مار أغناطيوس زكّا الأوّل عيواص

مع المطران إسحق ساكا مطران الموصل في ستوكهولم

نيقولا وميرنا في لقاء مع
غبطة البطريرك مكسيموس الخامس حكيم
في القنصليّة اللبنانيّة – الولايات المتّحدة الأمريكيّة، أيّار ١٩٨٨

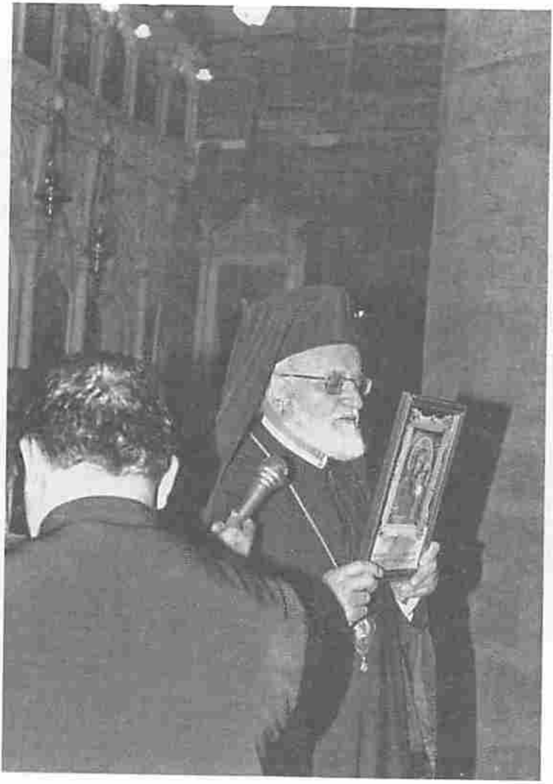

في ختام القدّاس الإلهيّ
بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين
بارك غبطة البطريرك غريغوريوس الثالث لحّام
جمهور المصلّين بأيقونة سيّدة الصوفانيّة

غبطة البطريرك غريغوريوس الثالث لحَّام
وسيادة المطران جوزيف عبسي
وسيادة المطران سمير نصّار للموارنة
قبيل الأمسيّة التي قدّمتها في كاتدرائيّة سيّدة النياح
جوقة أرزة لبنان يتقدّمهم الأب مارون حرب المرسل اللبنانيّ
مؤسّس الجوقة، والأب إيليّا فرنسيس كاهن الكاتدرائيّة

إبّان الأمسيّة التي أحيتها جوقة أرزة لبنان
بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لظاهرة الصوفانيّة
وكان على رأس الحضور غبطة البطريرك غريغوريوس الثالث لحّام
والأب إيليّا آغيا رئيس عامّ الآباء البولسيّين والأب موريس ينّي
من مصر ويبدو إلى يسار الصورة الشاعر رياض نجمة

في الذكرى السنويّة الحادية والعشرين راهبات الأمّ تيريزا
بعد القدّاس ٢٠٠٣/١١/٢٦

عام ١٩٨٦

لم تحدث طيلة الفترة الممتدّة بين شهر تشرين الثاني ١٩٨٥وتشرين الثاني ١٩٨٦ انخطافاتٌ، ولا انسكاب زيتٍ من الإيقونة، وكانت ميرنا، حينذاك، حاملاً بابنتها البكر ميريم. وكان قد سبق للربّ أن أنذر ميرنا بقوله: «**إذا طال غيابي، أو احتجب النور عنك، فلا تخافي**».

غير أنّ أصداء ما كان يجري في الصوفانيّة، كانت قد انتشرت في أوروبّا، وفي الولايات المتّحدة الأميركيّة، فقدم من لوس أنجلس الدكتور أنطون منصور الذائع الشهرة في أميركا، وراقب الأحداث عن كثب، وحاور ميرنا وسواها، وما لبث أن أصبح من أشدّ دعاة الصوفانيّة حماسًا.

وفي تلك السنة نضحت نسخٌ من إيقونة سيّدة الصوفانيّة زيتًا، في فينزويلاّ، وفي بيت لحم.

ثمّ استأنفت الظواهر العجيبة سياقها بمناسبة ذكرى الظاهرة الرابعة، فانسكب الزيت مجدّدًا من الإيقونة، فجر السادس والعشرين من تشرين الثاني ١٩٨٦، بعد انقطاعٍ طويلٍ. وفي مساء ذلك اليوم عينه، اعترى ميرنا انخطافٌ، انساب، في أثنائه، الزيت بغزارةٍ من يديها ووجهها، ومن عينيها مسبّبًا لها آلامًا مبرّحةً، وكان من المألوف أن يحدث ذلك كلّما رأت يسوع، ونوره الباهر. وقد تمّ ذلك بحضور الأب «جان كلود داريكو»، أُستاذ الصحافة في ستراسبورغ، ومراسل القناة الثانية في التلفزيون الفرنسيّ.

في هذا الانخطاف، إذن، رأت ميرنا يسوع الذي أدلى بالرسالة التالية:

«ابنتي ما أجمل هذا المكان! فيه سأُنشئ مُلكي وسلامي، فأُعطيكم قلبي، لأمتلك قلبكم.

مغفورةٌ لكم زلاّتكم، لأنّكم تنظرون إليَّ. ومن نظر إليَّ أرسم صورتي فيه. فالويل لمن يمثّل صورتي، وقد باع دمي.

صلّوا من أجل الخطأة، فكلّ كلمة صلاةٍ أسكب فيها قطرةً من دمي على أحد الخطأة.

ابنتي لا تضطربي من الأرضيّات، فبجراحاتي تكتسبين الأبديّة. أريد أن أُجدّد آلامي، وأُريدك أن تنجزي مهمّتك، فلا تستطيعين دخول السماء، إلاّ إذا أنجزتِ مهمّتك على الأرض.

إذهبي بسلام، وقولي لأبنائي أن يأتوا إليّ في كلّ ساعةٍ، وليس عندما أُجدّد عيد أمّي. فأنا معهم في كلّ وقتٍ».

وعندما سُئلت ميرنا كيف رأت يسوع، أَجابت: «رأيت نوراً، وفي قلب النور نوراً آخر بشكل إنسانٍ، وسمعت صوتاً مدوّياً وعميقاً...».

وتوالت الظواهر العجيبة. فليلة عيد الميلاد، عام ١٩٨٦، تدفّق الزيت من الإيقونة حتّى ملأ الجرن الموضوع تحتها، وانساب الزيت، ثلاث مرّات من يدي ميرنا.

عام ١٩٨٧

يوم رأس سنة ١٩٨٧، انساب الزيت من صورةٍ لسيّدة الصوفانيّة كانت في يد ضابطٍ في الجيش السوريّ، وبحضور كثيرين.

وعشيّة عيد الغطاس، فاض الزيت من الإيقونة الصغيرة، حتّى ملأ الجرن. وتكرّر الحدث نفسه ليلة دخول السيّد إلى الهيكل في ٢ شباط.

أمّا عشيّة عيد البشارة، أي قُبَيْل منتصف ليلة ٢٥/٢٤ آذار ١٩٨٧، فقد جرى حدَثٌ عجيبٌ كان مثار دهشة الكثيرين، إذ انتقلت الإيقونة تلقائيًّا من مسندها السفليّ، في بيتها الزجاجيّ، إلى المسند الأعلى، وسكبت زيتًا غزيرًا. وجديرٌ بالتنويه أنّ ذلك البيت الزجاجيّ هو دائمًا مقفلٌ، ولا يملك

له مفتاحًا سوى الأب معلولي، الذي غاب عن بيت العذراء في ذلك اليوم.

وعصر يوم الخميس العظيم، الواقع في ١٩٨٧/٤/١٦، تفجّر الدم من جبين ميرنا ومن راحتيها وقدميها، وتجلّت عليها سمات المصلوب. وفي غمرة آلامها المبرّحة، وبين أنّاتها الوجيعة، كانت تردّد القول:

«يا يسوع ارحمني.

لمجدك يا ربّ.

لمغفرة الخطأة... أوّلهن أنا. أعِنْ قلّة إيماني، يا ربّ»...

وكانت تعبّر عن ألمها بقولها إنّها تشعر بمسامير تُغرَس في رأسها، وبأنّ الوجع يشمل جسمها كلّه، وبخاصّةٍ عينيها ويديها.

وكانت تخاطب الربّ قائلةً: «خفّف عنّي، يا ربّ. أبعد عنّي إكليلك، أنا لا أقوى على احتمال ما احتملته أنت. أنت إلهٌ، وأنا دودة...

يا عدرا، دخيلك لا تخلّي الناس تخاف من منظر ابنك، يا أُمّي...».

في الساعة ٤,٢٥ سئلت: «ماذا ترين؟»، فقالت:

«أرى نورًا... نورًا... أعي كلّ شيءٍ... ولكنّ وجعي شديدٌ».

كان تدفّق الدم من جبينها قد توقّف مؤقّتًا، ثمّ عاد ينثال. فصرخت: «يا أُمّي، رأسي... آه، يا رأسي. دخيلكن شيلو لي إيّاه... لتكن مشيئتك يا ربّ. يا يسوع، دخيلك، ارحمني، أنا عبدتك الخاطئة».

وبدت وكأنّها تجهد في انتزاع الأشواك من جبينها، مردّدةً:

«صلّي لي... بسّ شلّي إيّاه».

وقال لها والدها: « أنا أُحبّك كثيرًا، يا بابا»، أَجابت:

«هو بحبّنا... نحن ما منحبّه... نحن عمنمثّل على

بعضنا... هو كاشفنا... هو بيعرف مين بحبّه.. نحن عمنمثّل على بعضنا... هو بيمهلنا....».

في الساعة ٤:٥٢، أَمالت رأسها، وفقدت الوعي.

في الساعة ٥:٢١، فتحت عينيها قليلاً. فسئلت: هل رأيت شيئًا؟».

– رأيت ما فعله من أَجلنا.... الآلام كلّها... لن أَستطيع نسيان هذا المشهد... وفي ذلك اليوم عينه، التأمت جميع جراحها، ولم تخلّف أَثرًا.

يوم سبت النور ١٨ نيسان ١٩٨٧

مساء ذلك اليوم، امتلأ الجرن بالزيت المتساكب من الإيقونة التي تعلوه. وكان البيت غاصًّا بالمصلّين. وبغتةً غشى الزيت يدي ميرنا وجهها، وأَخذت تترنّح، فاقتيدت إِلى غرفتها، ومُدِّدت على سريرها. ومثلما كان يحدث لها كلّما رأت يسوع، أَحسّت بأَلمٍ شديدٍ في عينيها، وصارت تضغط عليهما بقوّةٍ، مردّدةً:

«يا إِلهي... يا ربّي... يا أُمّي... يا عدرا....

يا يسوع ارحمني، أَنا عبدتك الخاطئة.

أَخ... يا الله... حاجتي، يا ربّ. ما فيّي أَتحمّل. لتكن مشيئتك...».

كانت تارةً تبكي، وتارةً تضع يديها على وجهها، وتهزّ

رأسها، ثمّ شرعت بتلاوة «أبانا»، وأكملها الحاضرون. وفي الحال، دخلت في انخطافٍ. وكانت الساعة ١١:١٦ ليلاً، وأصابعها في وضع أصابع الكاهن البيزنطيّ، عندما يبارك. ثمّ رسمت، ثلاثًا، إشارة الصليب، وهي تقول: «لتكن مشيئك، يا ربّ». وفي الساعة ١١:٣٤، هتفت:

– «المسيح قام».

فردّ عليها الحاضرون تلقائيًّا:

– «حقًّا قام».

وعندما سئلت، قالت إنّها رأت نورًا ساطعًا، ثمّ شاهدت يسوع بثوبٍ أبيض، وقال لها:

– «**أُعطيكم إشارةً لتمجيدي. تابعوا طريقكم، وأنا معكم، وإلاّ...**

(وتجدر الإشارة إلى أنّ الربّ قد أكمل هذه العبارة المبتورة، بعد أربع عشرة سنة، يوم سبت النور في ٢٠٠١/٤/١٤)

إثر هذا الانخطاف تضاعف عدد زائري البيت، والمصلّين فيه، وفي الآن عينه اتّسع نطاق الافتراءات.

مجموعة حجّاج من فرنسا يوم اثنين الباعوث ١٩٩٠/٤/١٦

دير المخلّص - صيدا (لبنان) عام ١٩٩٤

لقاء ميرنا مع المؤمنين في كنيسة رأس بعلبك (لبنان)
يتوسّط الصورة الأب ميشيل بركات والأب الياس سلّوم

لقاء مع قداسة البابا شنودة في مصر - شباط ١٩٩٥

مع الأمّ تيريزا في الولايات المتّحدة الأميركيّة

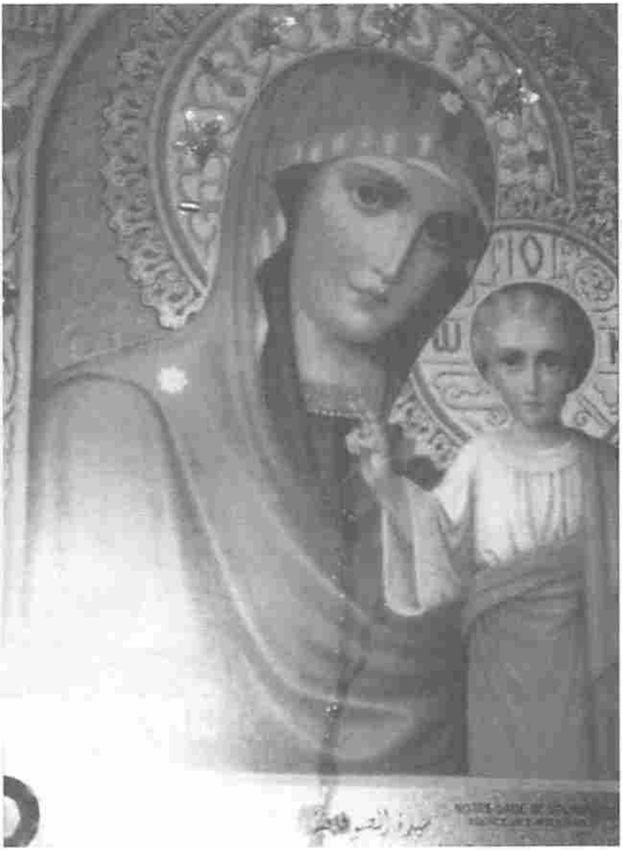

دموع العذراء

وقد رسمت المسبحة الكاثوليكيّة والصليب اليونانيّ الأرثوذكسيّ

الأب رينيه لورنتان يتفحّص ميرنا وهي في حالة الانخطاف

الأب يوزو من بلدة مديوغوريه الشهيرة
مع ميرنا يوم زار الصوفانيّة عام ١٩٩٩

زيارة الصحافيّ الفرنسيّ كريستيان رافاز

كريستيان رافاز صحافيّ، وصاحب مجلّةٍ مسيحيّة يصدرها في فرنسا، عنوانها «كريتيان ماغازين» (Chrétiens Magazine). قدم إلى دمشق مساء ١٩٨٧/٧/١٤، حيث أَمضى عشرة أيّامٍ، راقب، في أثنائها، عن كثبٍ، ما كان يحدث في الصوفانيّة، وتحدّث إلى عددٍ من المهتمّين بالظاهرة. وكان حصاد زيارته هذه سلسلةً من المقالات وكتيّبًا تناول فيه مختلف جوانب ظاهرة الصوفانيّة، قُيِّض له انتشارٌ واسعٌ، وتُرجم إلى الإنكليزيّة وإلى عدّة لغاتٍ أُخرى.

ميرنا في لبنان

قامت ميرنا وزوجها بزيارةٍ إلى لبنان امتدّت بين ١٧/٧/ و٢/٨/١٩٨٧، تلبيةً لدعوة طوني حنّا التي وجّهها، فضلاً عن ميرنا وعائلتها، إلى الطبيب الأميركي أنطون منصور وعائلته، وقد استضافهم جميعًا في منزله ببلدة معاد.

وكانت هذه الزيارة، في الواقع، مهرجانًا حافلاً بالظواهر العجيبة، وبانسكاب الزيت المتواتر من يدي ميرنا، ومن صُوَر سيّدة الصوفانيّة، في أماكن عديدةٍ من لبنان، منها معاد، وعنّايا، ومزار القدّيسة رفقة، وبكفيّا، وبرمّانا، وجورة البلّوط، وحريصا، وبحضور العديد من الأساقفة والكهنة، والرسميّين، والإعلاميّين، والمؤمنين. وقد تسنّى للأب مونّس مدير المكتب الكاثوليكيّ للإعلام تصوير وتسجيل الكثير من الأحداث العجيبة التي حدثت آنذاك، وقد أجرى، مع

ميرنا، مقابلةً تيليفزيونيّةً دامت نحو ثلاث ساعات، أُذيعت لاحقًا من محطّة «تيليلوميير».

وفي أَثناء هذه الزيارة حدث لميرنا انخطافان، في بلدة معاد، أَحدهما مساء ١٩٨٧/٧/٢٢، تلقّت، في أَثنائه، رسالةً من يسوع، قال فيها:

«لا تخافي، يا ابنتي، سأُربّي جيلي فيك. صلّوا، صلّوا، وصلّوا. وإِذا صلّيتم فقولوا: أَيّها الآب، بحقّ جراحات ابنك الحبيب، خلّصنا».

أَمّا الانخطاف الآخر فقد حدث في ١٩٨٧/٧/٢٨

وتوالى انسكاب الزيت

مساء السابع من أيلول ١٩٨٧ اعترى ميرنا انخطافٌ دام ١٤ دقيقة، رأت فيه يسوع الذي «فرك أُذنها»، وقد انسكب الزيت من عينيها مسبّبًا لهما أَلَمًا شديدًا. وفي نهاية الانخطاف بكت ميرنا بكاءً مرًّا، وقد أبت تبليغ الرسالة التي تلقّتها أمام الموجودين، والتي جاء فيها:

«ماري، ألست أنت التي اخترتها، الفتاة الهادئة التي قلبها مملوءٌ حبًّا وعطفًا؟ تبيّن لي أنّك لا تقدرين أن تتحمّلي أيّ شيءٍ من أجلي. سأعطيك فرصةً لتختاري. وتأكّدي إذا خسرِتني، خسرتِ دعاء كلّ من حولك. واعرفي أنّ حمل الصليب لا بدّ منه».

عشيّة عيد التجلّي، ١٩٨٧/٨/٦، انساب الزيت من

الإيقونة إلى الجرن الرخاميّ، قطراتٍ كبيرةً، كانت تتجمّع في أسفل الإيقونة، ثمّ تنسكب.

وعشيّة عيد انتقال العذراء، في ١٤/٨/١٩٨٧، امتلأ الجرن زيتًا، وكان، في صباح ذلك اليوم عينه، قد أُفرغ ونُظِّف. وفي ذلك المساء، اعترى ميرنا انخطافٌ، رأت فيه يسوع الذي أدلى بواحدةٍ من أَجمل رسائله، ومن أَكثرها دلالةً على سموّ شأن أُمّه العذراء، في تدبير الخلاص، وهذا نصّها:

«ابنتي، هي أُمّي التي وُلدت منها. من أكرمها أكرمني، ومن نكرها نكرني، ومن طلب منها نال، لأنّها أُمّي».

يوم الخميس، في ٢٤/٨/١٩٨٧، انسكب الزيت من يدي ميرنا، وكأنّه ينسكب من حنفيّة، في السفارة البابويّة بدمشق، بحضور السفير ومعاونيه، وما زالت بقعةٌ كبيرةٌ على موكيت مصلّى السفارة، شاهدةً على ذلك الحدث.

بعد أيّامٍ معدوداتٍ، أي في ١٢/٩/١٩٨٧، انسكب

الزيت بغزارةٍ من الإيقونة حتّى بدا الجرن وكأنّه «يفور فورانًا بالزيت». انسكاب الزيت هذا أسال العزاء والسكينة في قلب ميرنا، التي كانت ما برحت متأثّرةً برسالة السابع من أيلول.

ويوم الجمعة، في ١٩٨٧/١١/٢٠، سال الزيت من الإيقونة، بحضور حجّاجٍ فرنسيّين.

وفي ١٩٨٧/١١/٢٦، الموافق لذكرى الظاهرة الخامسة، تدفّق الزيت من يدي ميرنا، واعتراها انخطافٌ شهده وفد حجّاجٍ فرنسيّين، واللاهوتيّ الأب رينيه لورنتان، وبلّغها الربّ، في أثنائه، رسالةً خفّفت من وقع رسالته السابقة، إذ قال:

«ابنتي، إنّي أُقدّر اختيارك لي، ولكن ليس بالقول فقط.

أُريد أن تضمّي قلبك الرقيق، فتتّحد قلوبنا. بذلك تخلّصين نفوسًا معذّبة.

لا تكرهي أحدًا، فيعمى قلبك عن حبّي.

أحبّي الجميع كما أحببتني، خصوصًا الذين أبغضوك، وتكلّموا عليك. فعن طريقهم تكتسبين المجد.

استمرّي في حياتك، زوجةً وأُمًّا وأُختًا.

لا تضايقك المصاعب والأوجاع التي ستأتي إليك.

بل أُريد أن تقوي عليها. وأنا معك، وإلاّ خسرت قلبي.

اذهبي وبشّري في العالم أجمع، وقولي بلا خوفٍ أن يعملوا من أجل الوحدة.

ولا يعيب الإِنسان ما تثمر يداه، بل ما يثمر قلبه.

سلامي في قلبك سيكون بركةً عليك، وعلى جميع الذين ساهموا معك».

وقد علّق نيقولا على هذه الرسالة، بعد أن قارنها برسالة ١٩٨٧/٩/٧ : «أنا كنت مقتنعًا بأنّ ميرنا ستخرج من تلك الصفعة أنقى من السابق. لأنّه لا يمكنها، وقد رأت النور الإلهيّ، أن تقايضه بشيءٍ في الدنيا».

أمّا الأب لورنتان فقد صرّح: «أعتقد أنّني أمام وقائع ذات أصالةٍ روحيّةٍ كبيرةٍ ومثمرةٍ جدًّا. إنّ ميرنا ملفتةٌ للنظر بشفافيّتها، وبساطتها، وصفائها...».

وانتهت سنة ١٩٨٧ بالصلوات المسكونيّة وبفيض الزيت المقدّس.

فيوم الثلاثاء ١٩٨٧/١٢/١، ترأس الصلاة، في بيت العذراء بالصوفانيّة، مطران السريان الأرثوذكس في عمّان والقدس، بهنام ججّاوي، وأكّد في عظته على ضرورة وحدة الكنيسة، وتقديس المجتمع.

وصباح عيد الميلاد، الموافق يوم الجمعة ١٩٨٧/١٢/٢٥، وُجد الجرن، صباحًا، يطفح زيتًا.

تطواف في أحد شوارع باريس
وتبدو صورة سيّدة الصوفانيّة، ٢٢ أيلول ١٩٩٠

السفير البابويّ السابق في دمشق المونسنيور لويجي أكولي
يقدّم أيقونة سيّدة الصوفانيّة هديّة لقداسة البابا يوحنّا بولس الثاني

لقاء ميرنا ونقولا مع الكاردينال والتر كاسبر ممثّل الفاتيكان في الاجتماع الخامس للحوار اللاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الشرقيّة اللاخلقدونيّة ومساعده المونسنيور جوهان بوني في معرّة صيدنايا، ٢٠٠٨/٢/١

مع المونسنيور لويجي أكولي السفير البابويّ السابق في افتتاح مركز سيّدة الصوفانيّة الأب بيو من أجل وحدة المسيحيّين والحوار الدينيّ في روما رافعًا يد ميرنا بعد أن رشح الزيت منها..

الأب البروفسور عادل تيودور خوري
عميد كلّيّة اللاهوت بجامعة مونستر في ألمانيا
يلقي محاضرة حول الصوفانيّة بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٦

ميرنا في حالة الانخطاف مساء الأحد، ١٩٨٩/١١/٢٦

الأب البروفسور عادل تيودور خوري يسجّل رسالة الانخطاف
مساء ١٩٨٩/١١/٢٦

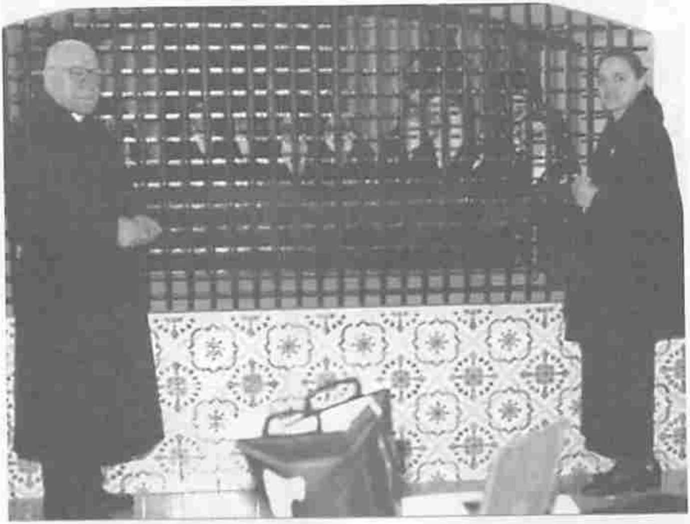

ميرنا خلال زيارتها للبرتغال وتبدو الراهبات الكرمليّات الحبيسات في دير كويمبرا حيث كانت تقيم الأخت لوسيّا اتي ظهرت لها العذراء في بلدة فاطمة عام ١٩١٧

عام ١٩٨٨

استُلّهت هذه السنة، أيضًا، بفيضٍ من بركة الزيت، ففي ليلة السنة الجديدة طفح الجرن الحاضن للإيقونة بالزيت، وتكرَّرت هذه الظاهرة، أيضًا، عشيّة عيد الغطاس.

وفي هذه الأثناء، وردت أنباءٌ عن نسخٍ من إيقونة سيّدة الصوفانيّة ترشح زيتًا، في كلٍّ من دمشق، وحلب، والولايات المتّحدة الأميركيّة.

يوم السبت ١٩٨٨/٣/١٩ باشرت ميرنا، مع زوجها، رحلةً إلى الولايات المتّحدة، استمرّت حتّى مطلع أيلول ١٩٨٨، بدعوةٍ من الدكتور أنطون منصور وزوجته، وعملاً بطلب الربّ: «**اذهبي وبشّري في العالم أجمع...**». وقد زوّدهما الأبوان معلولي وزحلاوي، بتوصياتٍ واضحةٍ وصارمةٍ بغية وقايتهما من إغراءات أميركا وفخاخها. وطوال مكوثهما في

الولايات المتّحدة لم ينقطع اتّصالهما المستمرّ بمرشدَيْهما، واطلاعهما على كلّ ما يحدث لهما، بانتظام.

وقد حفلت تلك المرحلة الأميركيّة بالظواهر الخارقة. فقد تواتر انسكاب الزيت من يدي ميرنا، ومن صوَر سيّدة الصوفانيّة، في شتّى المناسبات، وبحضور شهودٍ من مختلف المشارب والمستويات. ففي ٣ أيّار انسكب الزيت من صورةٍ كان يحملها المطران يوسف طويل، بحضور البطريرك مكسيموس حكيم، في منزل الدكتور منصور. وغالبًا ما كانت هذه الظواهر تحدث في أثناء صلواتٍ شخصيّةٍ وجماعيّةٍ. ولطالما أدهشت ميرنا الذين شاهدوها ببساطتها وتواضعها.

في ١٤ آب، عشيّة عيد انتقال السيّدة العذراء، اعترى ميرنا انخطافٌ في بيت الدكتور أنطون منصور دام نحو ٢٥ دقيقةً، كان الزيت، في أثنائه، ينساب من وجه ميرنا، وعنقها، ويديها، وقد تلقّت خلاله من يسوع الرسالة القاسية التالية:

«أبنائي، سلامي أُعطيكم، لكن أنتم أيّ شيءٍ

أعطيتموني؟ أنتم كنيستي، وقلبكم ملكٌ لي، إلاّ إذا هذا القلب امتلك إلهًا غيري.

لقد قلت: الكنيسة هي ملكوت السموات على الأرض. من قسّمها أخطأ، ومن فرح بتقسيمها، فقد أخطأ. فأهون عليّ أن يدين كافرٌ باسمي من الذين يدّعون الإيمان والمحبّة، ويحلفون باسمي.

عليكم أن تفتخروا باللّه وحده.

صلّوا من أجل الخطأة الذين يغفرون باسمي، والذين ينكرون أمّي.

أبنائي، أعطيتكم وقتي كلّه، أعطوني جزءًا من وقتكم».

عادت ميرنا إلى دمشق في ١٩٨٨/٩/٦، ولشدّة شوقها إلى صورة أمّها السماويّة، ألصقت رأسها ببيتها الزجاجيّ، وكأنّها لا تطيق عنه فكاكًا.

وتجدّدت ظواهر الزيت في دمشق. وغداة عودة ميرنا إلى دمشق جرى لها انخطافٌ تلقّت، في أثنائه، رسالةً اعتُبرت

من أقوى الرسائل، في ما يتعلّق بوحدة الكنائس، وهذا نصّها:

«ابنتي، لقد قلت لك بأن تقوي على جميع المصاعب، واعلمي بأنْ لم يمرّ عليك إلاّ القليل منها.

قولي لأبنائي بأنّني أطلب منهم الوحدة، ولا أُريدها من الذين يمثّلون عليهم بأنّهم يعملون من أجل الوحدة.

اذهبي وبشّري. وأينما كنتِ فأنا معك».

وكان ذلك في السابع من أيلول، عشيّة مولد السيّدة العذراء.

يوم ٩/٢٥ نضحت صورةٌ لسيّدة الصوفانيّة زيتًا في بيت الدكتور جميل مرجي، الذي غصّ بالمصلّين.

وفي ذلك اليوم عينه انسكب زيتٌ غزيرٌ من يدي ميرنا في مكتب المطران إسحق ساكا، نائب بطريرك السريان الأرثوذكس، كما غشى الزيت صورةً لسيّدة الصوفانيّة كانت في يد سيادته.

وفي مساء ذلك اليوم انسكب الزيت من يدي ميرنا، فيما كانت تودّع حجّاجًا فرنسيّين، كانت بينهم عالمة نفس، كتبت، لاحقًا شهادةً بما رأت، وأعربت عن إعجابها ببساطة ميرنا، وتواضعها، وصفاء نفسها، وشفافيّتها.

في ٩/٢٦ نضح الزيت من يدي ميرنا بحضور ثلاثة أساقفة من طائفة السريان الأُرثوذكس كانوا يزورون بيت العذراء في الصوفانيّة. واستمرّ انسكاب الزيت من يدي ميرنا في مناسباتٍ وأماكنَ مختلفةٍ.

يوم ١٠/١٠/ ١٩٨٨، فيما كانت ميرنا تصلّي تحت صليب، في بلدة «معاد» اللبنانيّة، اعتراها انخطافٌ، ورأت طيفًا بشريًّا، وسط نورٍ ساطعٍ، وبلّغها يسوع الرسالة التالية:

«ابنتي ماري، لماذا تخافين وأنا معك؟ عليك أن تتكلّمي، وبصوتٍ عالٍ، بكلمة الحقّ عن الذي خلقك لتظهر قوّتي فيك. وأنا سأعطيك من جراحاتي لتنسي عذابات البشر لك.

«لا تختاري طريقك، لأنّي أنا رسمتها لك»

١٩٨٨/١١/٢٦ : ذكرى الظاهرة السادسة

غصّ البيت، والشارع المؤدّي إليه، بالجموع، وترأّس الصلاة، في بيت العذراء، مطران السريان الأرثوذكس، الذي أكّد، في عظته، على واجب وحدة الكنيسة، استجابةً لدعوة الربّ وأُمّه الملحاح، وعلى أصالة الصوفانيّة ومصداقيّتها.

وقد اعترى ميرنا انخطافٌ، تلقّت في أثنائه، رسالة يسوع التالية:

«أبنائي،

هل كلّ ما تفعلونه هو حبٌّ بي!

لا تقولوا: ماذا أفعل؟ لأنّ هذا هو عملي.

عليكم بالصوم والصلاة، لأنّكم بالصلاة، تواجهون حقيقتي، وتجابهون كلّ الضربات.

صلّوا من أجل الذين نسوا وعدهم لي، لأنّهم سيقولون: لماذا لم أشعر بك، يا ربّ، وأنت كنت معي؟

كلّ ما أُريد هو أن تجتمعوا كلّكم فيّ، كما أنا في كلّ واحدٍ منكم.

أمّا أنت، يا ابنتي، فسأتركك.

لا تخافي إذا طال عليك سماع صوتي، بل كوني قويّة، ولسانك سيفٌ ينطق باسمي.

تأكّدي أنّني معك ومعكم جميعًا».

وتواصلت الصلاة، في الدار حتّى الساعة الواحدة ليلاً، بحضور حشدٍ كبيرٍ مسحورٍ بصوتيْ طوني حنّا، والياس كرم، وتخلّلت الصلوات حلقات دبكةٍ.

وفي أولى ساعات الفجر، طفح الجرن الذي يحضن الإيقونة بالزيت العجيب، وبقيت ثلاث نقطٍ عالقةً في أسفل الصورة، مدى أشهرٍ عديدةٍ.

عاما ١٩٨٩ و١٩٩٠

سنقتصر، في ما يلي، على ذكر بعض الأحداث البارزة، في هاتين السنتين.

في شهر آب ١٩٨٩، كانت ميرنا في زيارةٍ إلى الولايات المتّحدة، واعتراها انخطافٌ، في مدينة لوس أنجليس، يوم ١٨/٨، وفي أثنائه أملت عليها السيّدة العذراء الرسالة التالية:

«لا تخافي يا ابنتي، هذا كلّه ليتمجّد اسم الله. بل افرحي لأنّ الله سمح لكِ أن تأتي إليّ لأقول لكِ: لا يهمّك ما يقال عنك، بل كوني دائمًا بسلامٍ لأنّ الخليقة تنظر إليّ من خلالك. قولي للجميع أن يكثروا الصلاة، لأنّهم بحاجةٍ إلى الصلاة لإرضاء الربّ.

بركة الله تحلّ عليك، وعلى جميع الذين ساهموا معك لمحبّته».

في مطلع شهر أيلول زار السفير البابويّ بيت العذراء في الصوفانيّة، وصعد إلى السطح، وتأمّل البقعة التي خلّفها على الإسمنت تدفّق الزيت من المسبحة التي كانت بيد أمّ الله، وإذ به يكتشف في داخلها وجه يسوع المتألّم، فأذهله ما رأى.

ومع دنوّ ذكرى الظاهرة السابعة، بدأت تصل إلى دمشق وفود حجّاجٍ وزائرين أجانب، وكان من أبرزهم الأب الدكتور عادل تيودور خوري، ومراسل التلفزيون الكنديّ «أندريه روستُفوروڤسكي».

وفي ١٩٨٩/١١/٢٦ غصّ البيت بالمصلّين، وفق ما هو مألوفٌ، في مثل هذه المناسبة، وفي الساعة السادسة وخمس دقائق، غشى الزيت وجه ميرنا، فاقتيدت إلى سريرها حيث اعتراها انخطافٌ، بلّغتها، في أثنائه، السيّدة العذراء، الرسالة التالية:

«أولادي،

قال يسوع لبطرس: أنت الصخرة، وعليها سأبني كنيستي.

وأقول أنا الآن: أنتم القلب الذي سيبني فيه يسوع وحدانيّته. أريد أن تخصّصوا صلواتكم من أجل السلام من الآن حتّى ذكرى القيامة».

وفي ١٩٨٩/١١/٢٨ أنهى نيقولا ورفاقٌ له إقامة مزارٍ للعذراء في فناء الدار، وطلبوا منها إشارة رضا، فانسكب الزيت من إيقونتها، وكان مراسل التلفزيون الكنديّ شاهدًا على ذلك.

ويوم ١٩٨٩/١٢/٧ أقام السفير البابويّ قدّاسًا في مصلّى السفارة، كانت ميرنا ونيقولا من المدعوّين إليه، وفي نهاية القدّاس غطّى الزيت يدي ميرنا، فأمسكهما السفير، وشمّ الزيت بذهول، وادّهن به، وكذلك فعل الحاضرون.

يوم ١٩٩٠/٢/٥، عقب صلاة المساء في بيت العذراء، تحدّثت فتاةٌ عن شفاء والدتها في ذلك البيت عينه من شللٍ مزمنٍ. وكانت تلك الوالدة، التي عيل صبرها، قد ألحّت في

المجيء إلى بيت العذراء في الصوفانيّة، وجاء بها إليه أبناؤها فجرًا، وحرصت على صعود درجات البيت زحفًا على يديها، وهي تجرّ رجليها جرًّا. وفي البيت أعلنت أنّها لن تغادره إلاّ سيرًا على قدميها. أدهش موقفها وإيمانها نيقولا، وتركها تصلّي كما تشاء. وتحقّق لها، فعلاً، ما جاءت من أجله.

ومنذ مطلع شهر نيسان ١٩٩٠ بدأ حجّاج الصوفانيّة يتوافدون إلى دمشق، فقدم من فرنسا الدكتور المخبريّ جان كلود أنطاكلي وزوجته، ثمّ قدم وفدٌ من ثلاثة عشر شخصًا ضمّ، في ما ضمّ، طبيب الأمراض العصبيّة الدكتور فيليب لورون الذي حقّق أيضًا في ظهورات ميديوغورية، ومحلّلتين نفسيّتين، وجاء غيرهم من أميركا وكندا وألمانيا وبلجيكا، وبوركينافاسو ولبنان ومصر.

ويوم الخميس العظيم، في ١٢/٤/١٩٩٠، انفتحت جراح سمات الصليب في جسم ميرنا تحت أضواء آلات التصوير، وكان بين من صوّروها، منذ اللحظات الأولى، الدكتور

فيليب لورون، والدكتور أنطون منصور، وكان بعضهم يذرفون الدموع وهم يصوّرون. وكانت الصلاة، التي اشترك بها حشدٌ غفيرٌ، حارّةً جدًّا.

ويوم سبت النور، في ١٤ نيسان اعترى ميرنا انخطافٌ، واكبه انبثاق الزيت من جبينها ووجهها وعينيها، وصُوِّرت جميع مراحل هذا الانخطاف وتلقّت ميرنا، في أثنائه، رسالة يسوع التالية:

«**أبنائي، أنتم ستعلّمون الأجيال كلمة الوحدة والمحبّة والإيمان. أنا معكم. لكن، يا ابنتي، لن تسمعي صوتي إلاّ والعيد واحد**». وقد شهد الانخطاف أجانب وعربٌ كُثُرٌ.

وصباح يوم عيد الفصح وُجد الجرن الرخاميّ الذي يحضن الإيقونة وقد امتلأ حتّى ثلثيه بالزيت.

يوم ١٩٩٠/٥/٢ زار الصوفانيّة خمسةٌ وثلاثون حاجًّا فرنسيًّا، واستمعوا بدهشةٍ واهتمامٍ إلى تفاصيل الظاهرة.

يوم ٩ آب ١٩٩٠ سافرت ميرنا مع زوجها، وبرفقة الأب بولس فاضل، إلى بلجيكا حيث كانوا مدعوّين، وحلّوا هناك

ضيوفًا على بيتٍ يحمل اسم الصوفيّة الفرنسيّة الشهيرة «مارت روبان». ويوم ٨/١٥ حدث لميرنا انخطافٌ، وهي على درج هيكل كنيسة بلجيكيّة، بحضور جمهورٍ حاشدٍ وطبيبين بلجيكيّين. وفي أثناء هذا الانخطاف، تلقّت رسالةً العذراء التالية:

«أبنائي صلّوا من أجل السلام، وخصوصًا في الشرق، لأنّكم كلّكم إخوةٌ في المسيح».

يوم ١٩٩٠/٩/٧ فاض الزيت على سطح بيت العذراء، في المكان القائم تحت قاعدة التمثال المنصوب هناك، وكان ذلك عشيّة عيد مولد العذراء.

وبمناسبة الذكرى الثامنة عشرة للظاهرة، أي في ١٩٩٠/١١/٢٦، تلقّت ميرنا من السيّدة العذراء الرسالة التالية:

«لا تخافي، يا ابنتي، إذا قلت لك بأنّ هذه آخر رؤيا إلى أن يتوحّد العيد.

«إذًا قولي لأبنائي هل يريدون أن يروا ويتذكّروا

جراحات ابني فيك أم لا. فإن هان عليهم أن تتألّمي مرَّتين، فأنا أُمٌّ لا يهون عليّ أن أرى ابني يتألّم مرّات.

كوني بسلام، كوني بسلام، يا ابنتي.

تعالي ليعطيك السلام، حتّى تتمكّني أن تنشريه بين البشر.

أمّا الزيت فسيبقى يظهر على يديك لتمجيد ابني يسوع متى يشاء، وأينما ذهبت، فإنّنا معك ومع كلّ واحدٍ يتمنّى أن يكون العيد واحدًا».

الشمّاس الإنجيليّ ميديريك برناردينو من تاهيتي
ينشد بلغته نشيد الصوفانيّة عام ٢٠٠٤

أستراليا، نيسان ٢٠٠٥

الأديب والمفكّر العربيّ أنطون مقدسي
يصلّي أمام الأيقونة العجائبيّة

ميرنا مع أحد الكهنة - إنكلترا عام ٢٠٠٤

أَسفارٌ رسوليّةٌ وزيتٌ لا ينقطع

نفّذت ميرنا أَمر الربّ الذي قال لها: «**اذهبي وبشّري**»، متّكئةً على وعده: «**وأينما كنت فأَنا معك**».

فيمّمت شطر الولايات المتّحدة الأَميركيّة عام ١٩٩٠، وفي صيف ذلك العام عينه زارت بلجيكا وهولّندا، وتعدّدت أَسفارها إِلى هذين البلدين، وإِلى فرنسا وسويسرا منذ صيف ١٩٩١.

واستمرّ الزيت يتدفّق من يديها أَينما ذهبت حتّى عام ٢٠٠٤، وتميّز تدفّقه بغزارةٍ فريدةٍ عام ١٩٩٠، وخاصّةً في أَماكن عديدةٍ من الولايات المتّحدة الأَميركيّة، ولكأَنّ الربّ حرص على هزّ وجدان ذلك الشعب الذي غرَّرت به عبادة المال وصرفته عن الجوهريّ. وكان تدفّق الزيت غزيرًا، أَيضًا، في أَثناء زيارتها إِلى كندا ومصر.

فقد زارت لبنان ومصر عشرات المرّات، وقامت بسفراتٍ عديدةٍ إلى كندا منذ عام ١٩٩٣. وبين شهري آب وأيلول ١٩٩٣ قامت برحلةٍ إلى أوستراليا برفقة المطران رياشي. وفي أثنائها، حدث، في مدينة سيدني، شفاءان من السرطان كانا ينذران بموتٍ محتّمٍ، أحدهما لطفلٍ في الخامسة من عمره، يدعى جورج الياس فرج، والآخر للسيّد عبده خليفة، وهو من شماليّ لبنان، ولم يكن الأطبّاء قد أمّلوه بأكثر من شهري حياةٍ. وقد شهد مسيحيّو سيدني أنّ كنائسهم، لم تعهد، طوال تاريخها، مثل كثافة الحشود التي أمّتها بمناسبة زيارة ميرنا لها. كما أنّ الحياة عادت إلى امرأةٍ أرمنيّةٍ، كانت قد انتهت إلى عتبات الموت. وقد تكرّرت هذه الظواهر في مدينة ميلبورن، حيث جرت أشفيةٌ روحيّةٌ أيضًا.

وتمكّن المطران رياشي من إحصاء المرّات التي نبع فيها الزيت من يدي ميرنا، فإذ بها تسعٌ وثلاثون مرّةً، ونضح الزيت من عنقها مرّةً، ومرّةً أخرى من صورة سيّدة الصوفانيّة.

وتكرّر سفر ميرنا إلى أوستراليا في خريف عام ٢٠٠٥. وسافرت ثانيةً إلى الولايات المتّحدة الأميركيّة وإلى كندا في الأعوام ١٩٩٦، و٢٠٠٢، و٢٠٠٦، وإلى البرتغال وهولّندا مرَّتين، عامي ١٩٩٨ و١٩٩٩، وإلى إيطاليا عام ١٩٩٩، حيث حضرت تدشين «مركز الصوفانيّة من أجل الحوار الدينيّ، والوحدة المسيحيّة». وسافرت إلى الإمارات العربيّة المتّحدة عام ٢٠٠٤، وإلى بريطانيا في صيف ٢٠٠٤، وإلى السويد عام ٢٠٠٥، وإلى فرنسا، ثمّ إلى قازان في صيف ٢٠٠٧، وإلى أوكرانيا في شتاء ٢٠٠٨.

ولا بدّ من التنويه بأنّ ميرنا لا تسافر إلى أيّ مكانٍ إلاّ بدعوةٍ من مسؤولٍ كنسيٍّ فيه، وهي دائمة الحرص على ألاّ يسبّب سفرها أيّ توتّرٍ أو خلافٍ، وعلى ألاّ تكون غاية سفرها سوى الصلاة والشهادة لحدث الصوفانيّة، ونشر رسائل الربّ وأُمّه. وإن تبيّن غياب أحد هذه الشروط فهي لا تتوانى عن إلغاء رحلتها، حتّى في اللحظة الأخيرة، كما حدث بشأن سفرها إلى فرنسا عام ١٩٩١، وبشأن رحلتها إلى بورتوريكو، عام ١٩٩٤.

وقد أتاحت هذه الرحلات، على حدّ قول الأب زحلاوي «انتشار الصوفانيّة وتغلغلها الوديع والعميق معًا، في العالم».

وخليقٌ بالذكر أنّه قُيِّض لميرنا لقاء الأُخت لوسيّا، رائية فاطمة الرئيسة، في كرمل كويمبرا عام ١٩٩٨. وكان محظورًا على الأُخت لوسيّا مقابلة أيّ إنسانٍ إلاّ بإذنٍ مسبّقٍ من الفاتيكان. بيد أنّها، بتدبيرٍ إلهيٍّ فريدٍ، وافت إلى صالون الكرمل حيث كانت ميرنا، فصافحت أُختها السوريّة آخذةً يدها بين يديها.

وفي عام ١٩٩٩ قام من دُعي «نبيّ مديوغورية» الأب يوزو، بزيارةٍ خاطفةٍ إلى بيت العذراء في الصوفانيّة.

وعَهد انسياب الزيت من يدي ميرنا فترات انقطاعٍ، كان بعضها يطول. فعام ١٩٨٨ انقطع نحو سنةٍ كاملةٍ، ثمّ عاد ينسكب منذ ١٩٨٩/١١/٢٧. وكان عام ١٩٩٠ حافلاً بتدفّقه. ثمّ انقطع عام ١٩٩١، وعاد إلى التدفّق عام ١٩٩٤، فسال بغزارةٍ بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لبدء الظاهرة، في نهاية قدّاسٍ احتفل به المطران جورج كويتر في

كنيسة القدّيس كيرلّس، يوم ١٩٩٤/١١/٢٥، ثمّ في بيت العذراء، أثناء تقطيع ميرنا لقالب الحلوى، مساء اليوم التالي، وأيضًا في ١٩٩٤/١١/٢٧، بمناسبة عمادة طفل، في بيت الصوفانيّة، ومرّةً أُخرى في اليوم التالي، ١٩٩٤/١١/٢٨، أمام حجّاجٍ يونانيّين.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الزيت غالبًا ما انسكب من يدي ميرنا، وهي تصلّي من أجل مرضى مسلمين، فالسيّدة العذراء هي أُمّ البشر أجمعين، وأُمّ جميع المؤمنين بجدوى شفاعتها.

وأخذ الزيت ينسكب من صورٍ لسيّدة الصوفانيّة في بيت أُسرةٍ أرمنيّةٍ في حلب، اعتبارًا من ١٩٨٨/١/٢٤. وفي بيت عائلةٍ أُخرى اعتبارًا من شهر تمّوز ١٩٨٨.

وفي حين انقطع تدفّق الزيت من الإيقونة الأَصليّة عام ١٩٩٠، تدفّق من نسخٍ عنها في مدينة شيكاغو الأَميركيّة، وما زال منذ عام ١٩٩٤ يسيل من صورةٍ لسيّدة الصوفانيّة، في منزل رجلٍ سوريّ الأَصل. وأُبلغ عن سيلان زيتٍ من نسخٍ عن صورة سيّدة الصوفانيّة، في عددٍ من البيوت، بفرنسا وإيطاليا، وبلدانٍ أُخرى.

عام ١٩٩٤ عاد الزيت ينساب بغزارةٍ من إيقونة الصوفانيّة ومن يدي ميرنا، وكان، أحيانًا، زيتًا عطرًا، وفي نفس الآن، انسكب من نسخةٍ مكبّرةٍ لصورةٍ لسيّدة الصوفانيّة في بيتٍ بكندا.

وانقطع انسياب الزيت، ثانيةً، عام٢٠٠٠، ثمّ استأنف تدفّقه يوم الجمعة العظيمة من عام ٢٠٠١. وفي اليوم التالي، وهو سبت النور، اعترى ميرنا انخطافٌ. ورأت فيه السيّدة العذراء والمرحوم الأب معلولي يقودانها من يدها إلى يسوع المتألّق نورًا، الذي بلّغها رسالةً شديدة اللهجة، وكأنّه يكمل فيها الرسالة الإنذار التي كان قد بدأ يدلي بها في سبت النور لعام ١٩٨٧، وهذا نصّ رسالة ١٤/٤/٢٠٠١:

«أبنائي، أعطيتكم إشارةً لتمجيدي. تابعوا طريقكم وأنا معكم، وإلاّ أغلقت أبواب السماء في وجوهكم.

ولكن، هنا أُمٌّ تتألّم، تصلّي، تقول لي: «يا ربّ، أنت الحبّ كلّه»».

فأقول: «لا تيأسي يا باب السماء، لأنّي أُحبّهم، وأُريد أن يبادلوني هذا الحبّ بالعطاء.

أبنائي، اجتهدوا أن تروا ذاتكم على حقيقتها، ولتروا مدى أمانتكم في تحقيق وحدة القلوب في ما بينكم. تحلّوا بالصبر والحكمة ولا تخافوا إذا فشلتم. اثبتوا على الرجاء. ثقوا بي، فأنا لن أتخلّى عمّن يعمل مشيئتي.

أمّا أنتِ، يا ابنتي، كوني حريصة، وتسلّحي بنعمتي. كوني صبورةً، حكيمةً، متواضعةً. قدّمي هذه الآلام بفرحٍ.

فقد قلت لك: «أتعابك لن تطول». وجّهي نظرك إليّ تجدي السلام والراحة. فأنا من يقوّيكِ، وأنا من يلقيكِ، وأنا من ينتشلكِ، لأقودك إلى فرح السماء.

اجتهدي بالصلاة، وليرافق صومَك التأمّل والاختلاء، فتسمعين صوتي في داخلك.

ثقي بي، فأنا لن أتخلّى عنك وعن عائلتكِ، وعن كلّ من ساهم معكِ إكرامًا لي، ومن أجل ذاتي».

غير أنّ لهجة الربّ كانت أوفر رقّةً بمناسبة ذكرى الظاهرة التاسعة عشرة، في ٢٠٠١/١١/٢٦، وذلكم هو نصّ الرسالة التي بلّغها حينذاك:

«ما أجمل العائلة التي شعارها الوحدة والمحبّة والإيمان. دربُها دربي، عونُها أمّي.

أولادي، إنّي أهب لكم ذاتي. فإنّ فعل السجود والتأمّل والشكر، والإرشاد الروحيّ يسرّني. ولكن لا يكتمل إلاّ باتّحادكم على الهيكل.

إنّي أُقدّم لكم جسدي ودمي عربون وفائي ومحبّتي. اقبلوا منّي هذا السرّ بثقةٍ وإيمان، فهو يعزّيكم، ويمنحكم قوّةً وحكمةً، ويزيدكم نعمًا.

إنّ أيّامًا صعبةً آتيةٌ، اضطراباتٍ في داخل الكنيسة، والذي لا يتنعّم بالسلام الحقيقي، الانقسام يشكّل عليه خطرًا.

لا تستسلموا للفشل، ولا تهتمّوا بما يحكم به الآخرون عليكم. لا تدافعوا عن أنفسكم، ولا تطلبوا إلاّ الذي أعددته لكم. أنا أُدبّر أُموركم لأنّكم عمل يدي.

برهنوا لي على محبّتكم. فبالمحبّة أسير بجانبكم، وبالأسرار أتّحد معكم، ولا تنسوا أنّي أنا سبب وجودكم على الأرض، وأنا سبب سعادتكم في السماء».

ولا مفرّ من الإشارة إلى أنّ فترات انقطاع انسكاب الزيت، وتوقّف الظواهر العجيبة لم تكن تؤثّر، في شيءٍ، على جوّ الصلاة في بيت الصوفانيّة. ويرى مراقبون أنّ صحراء فترات التوقّف هذه هي أحد أصلب البراهين على صحّة الظاهرة... فلو هي كانت عملاً بشريًّا لما صمدت. ألم يكن يسوع قد أنذر: «**إن طال غيابي، واحتجب عنك النور، فلا تخافي. أنّما ذلك لتمجيدي**»؟

ومع أنّ ظاهرة الزيت قد تقلّصت في السنوات الأخيرة، إلاّ أنّ جوّ الصلاة ما برح سائدًا في بيت الصوفانيّة، وما زال

كثيرون، حتّى من الغربيّين، توّاقين إلى تلقّف رسائل الربّ وأمّه لبني جيلنا، وما انفكّت الدعوات إلى ميرنا تتوالى من كلّ أرجاء المسكونة، للاستماع إلى شهادتها ورسالتها، وهي ما فتئت تتجشّم عناء الأسفار، كي تبشّر، تنفيذًا لرغبة الربّ.

وقد حدث انقطاعٌ تامٌّ للزيت منذ عام ٢٠٠٤. غير أنّه استأنف انسكابه عام ٢٠١٠، إذ كان الاحتفال بعيد الفصح موحّدًا، بفضل صُدَف الروزنامة. ففي يوم سبت النور الواقع في ٢٠١٠/٤/٣ غطّى الزيت يدي ميرنا، ووجهها، ونبع من عينيها، غير أنّها بدافعٍ من الروح، طلبت من الحضور، بحزمٍ وإلحاحٍ، ألاّ يقترب منها إلاّ من تناول جسد الربّ، مؤكّدةً أنّ حضور الربّ في القربان هو الأهمّ، وأنّ من يتناوله باستحقاقٍ، سيمتلئ بالنور نفسه الذي غمر نفسها، ويسكنه من الشعور العذب مثل ما سكن نفسها، ومذكّرةً بالجوهريّ الذي ينبغي أن يستأثر باهتمام المؤمنين، فلا يذهلون عنه، وينصرفون إلى الظواهر.

أمّا الرسالتان الأخيرتان اللتان أدلى بهما يسوع، فهما:

رسالة خميس الأسرار في ٨/٤/ ٢٠٠٤، وهي تشير إلى قلب يسوع:

«هذا هو الينبوع الذي ترتوي منه كلّ نفس. جرح قلبي هو ينبوع الحبّ.

أمّا الجراحات فهي بسبب جريمةٍ لم أقترفها».

ورسالة سبت النور ٢٠٠٤/٤/١٠، وهي وصيّةٌ نعتزّ بها:

«وصيّتي الأخيرة لكم: ارجعوا كلّ واحدٍ إلى بيته، ولكن احملوا الشرق في قلوبكم. من هنا انبثق نورٌ من جديدٍ، أنتم شعاعه، لعالمٍ أغوته المادّة والشهوة والشهرة، حتّى كاد أن يفقد القيم.

أمّا أنتم، حافظوا على شرقيّتكم، لا تسمحوا أن تُسلَب إرادتكم، وحرّيّتكم، وإيمانكم في هذا الشرق».

وفي جميع الظروف والحالات يصحّ قول المحلّلة النفسيّة الفرنسيّة بريجيت سوفغران: «أَجل، إنّ الاستثنائيّ في الصوفانيّة يجاور بساطةً عظيمةً، وسخاءً قلبيًّا جمًّا».

ميرنا

اختيار اللّٰه وأُمّه لميرنا رسولةً تنعم برؤيتهما وبسماعهما، اختيارٌ وحظوةٌ مجّانيّان قد أدهشا من يقيسون كلّ شيءٍ بالمعيار البشريّ الضيّق، والحسير البصر، وأثار سخط آخرين ادّعوا تفوّقًا وأفضليّةً، كما هو شأن تلك الراهبة التي ادّعت أنّها وأخواتها أحقّ بذلك الاختيار، فهتفت معاتبةً الربّ: «أوَليس في الأديرة ما يكفي من الراهبات؟».

وقد يكون بعض جوابٍ على مثل هذه التساؤلات والاعتراضات السخيفة في القولين التاليين:

قول الأب الفرنسيّ «دوفودو»: «هي ميرنا التي اختارها اللّٰه لتكون ناطقةً صامتةً... بسبب ما ليس فيها، كما يبدو، أكثر منه، بسبب ما هو فيها. إنّه سرّ الامّحاء».

وقول الأُستاذ المرحوم أَنطون مقدسي (الذي سنستفيض من الاستشهاد بأقواله على امتداد الصفحات التالية، فهو أَكثر من توغّل في استقراء أَسرار الصوفانيّة، وفي استجلاء جوهرها): «في القرون السابقة، كانت المسيحيّة تطلب من المؤمنين أَقصى انسلاخٍ عن العالم، كي يعيشوا مع الله، وفي سبيل الله. أَمّا اليوم، فهي تطلب منهم أَن يعيشوا في العالم، مع الله، وأَن يعيشوا مع الله، ومن أَجله، في العالم».

ونسمح لنفسنا بالتنويه بأنّ الرائية الراهبة هي، غالبًا، مقيّدةٌ بأَوامر رؤسائها الذين قد يؤثرون مصلحة مؤسّساتهم، على مصلحة الظاهرة ومقتضيات الرسالة، وقد تطغى مصلحة بعض المسؤولين الشخصيّة على مشيئة الربّ. في حين أَنّ الرائي العلمانيّ، أَو الرائية العلمانيّة، يتمتّعان بمساحة حرّيّة أَرحب للنهوض بالرسالة الموكلة إِليهم.

ويبقى سرّ الله الذي لا قِبَل لنا على إِدراكه، ودروب الله التي تخالف دروبنا.

ويبقى المهمّ، وهو استجابة ميرنا لاختيار السماء. فمن

المحقّق أنّ هذا الاختيار قد زعزع كيانها، وقلب أركان شخصيّتها، وحوّل، جذريًّا، كلّ نهج حياتها، وأنّ الرسائل التي بلّغها إيّاها يسوع وأمّه قد ثقّفتها في العمق، وأغرقتها في لجّةٍ من التأمّل والصلاة والجهد نحو الحياة في الله، فإذ بتلك التي كانت لا مباليةً، كلفةً باللهو، قد امتلأت رصانةً وجدًّا، وغدا ديدنها وهمّها خدمة العذراء ورسالتها.

قالت لها العذراء يومًا: «**انزلي قوليلُن إنّك بنتي قبل ما تكوني بنتُنْ**». وحينئذٍ أدركت أنّ عليها إيلاء شؤون الربّ والعذراء الأولويّة على شؤونٍ خاصّةٍ أخرى، ونهجت بمقتضى هذا اليقين.

وقالت لها العذراء أيضًا: «**عيشي حياتك. لكن الحياة لا تمنعك من أن تتابعي الصلاة**». ومنذئذٍ، احتلّت الصلاة من حياتها حيّزًا رحبًا ما انفكّت رقعته تتّسع، يومًا فيومًا.

تحوّلت ميرنا، إذن، وهذا التحوّل طبع كلّ سلوكها، وتجلّى من خلال ملامحها، شفافيّةً، وسكينةً، ونعمةً، وكاريزما. وقد زادها رصانةً وجدًّا شعورها بثقل المسؤوليّة، قول العذراء

لها: «**الخليقة تنظر إليّ من خلالك**». ومنئذٍ جهدت في أن تكون مرآةً نقيّةً لا تشوّه صورة العذراء السنيّة، وسعت إلى إبقاء أبصارها مثبّتةً على يسوع الذي كان قد وعد بطبع صورته في من ينظر إليه.

وقال لها يسوع: «**لا تختاري طريقك، لأنّي أنا رسمتها لك**». وحينئذٍ لم تتخلَّ عن رغباتها وميولها السابقة وحسب، بل أيضًا عن إرادتها الخاصّة، وانقادت لليد الإلهيّة التي كانت تدفعها، فأدّت مهمّة الشهادة والرسالة التي انتُدبت لها خير أداءٍ.

وتجلّت نتائج كلّ تلك التحوّلات لدى من راقبوها عن كثبٍ، وشهدوا بما رأوا. وسنقتصر على باقةٍ من تلك الشهادات.

فقد قال طبيبٌ أميركيٌّ: «حضور ميرنا كان هو الرسالة». وقالت الموسيقيّة الألمانيّة بياتريس هوفمان: «تدهشني ميرنا ببساطتها».

وكتب الأب ميشيل سيّدة المخلّصي، الذي رافقها، يومًا

فيومًا، على امتداد رحلةٍ طويلةٍ لها إلى كندا: «بساطةٌ مشعّةٌ على وجهها وفي عينيها، تحرّرٌ مذهلٌ، تواضعٌ عميقٌ، عفويّةٌ كلّيّةٌ، عميقةٌ، مخيفةٌ أحيانًا. سلامٌ، ولا أنقى منه سلام. استسلامٌ كاملٌ لمشيئته تعالى، حتّى إن لم تفهم هذه المشيئة. شفافيّةٌ خارقةٌ، وصفاءٌ سماويٌّ، عطاءٌ وبذلٌ بلا حدودٍ. إنّها في قلب الله. وهذا هو، حسب اعتقادي، مصدر قوّتها، وعزائها، وسلامها....

«وجود ميرنا بيننا، ذكّرنا، فعلاً، بوجود المسيح، وأعادنا إلى الزمن الذي عاش فيه المسيح. فحيث عُرف أنّ ميرنا هناك، كانت الجماهير تتسابق لتراها، لتسمع صوتها وأناشيدها الجميلة الشعبيّة، التي، ما هي سوى صورةٍ حيّةٍ لرسالتها التي تحملها حيث تحلّ. وجود ميرنا بيننا كان قطعة مغناطيس تجذبنا نحوها للصلاة، تشدّنا إلى الوحدة المنشودة بين كنائسنا، تزيدنا محبّةً وتعلّقًا ببعضنا. وجود ميرنا بيننا جعلنا ننسى وجودنا في كندا، ونعيش أحلامًا وأوقاتًا لم نكن لنهيّأ لها أو ننتظرها. يربطنا فرحٌ غير اعتياديٍّ يملأ حياتنا محبّةً وسعادةً وسلامًا.

«... لا يمكن أَن أَشبع وأَن أَملّ من ذلك السلام، ومن نقاء وصفاء تلك النظرات، وذلك النور الذي كان يتدفّق على وجهها وحولها، أَينما وُجدت. كانت تحمل لنا الله. وكنّا نتراكض حولها لنتمتّع بجماله، وبنوره فيها...».

وكتبت رئيسة دير راهباتٍ بينيدكتيّاتٍ حبيساتٍ، إثر زيارة ميرنا لذلك الدير:

«بتاريخ ١٢ نيسان ٢٠٠٦ الموافق ليوم الأَربعاء المقدّس، نعمنا بسرورٍ غامرٍ من جرّاء استقبالنا ميرنا التي كان يرافقها بضعة مسيحيّين تابعين للطقس الملكيّ. وقد تأثّرت جميع الراهبات، بما تتّصف تلك التي تدعو نفسها «زوجةً، وأُمًّا، وأُختًا»، من بساطةٍ، وتواضعٍ، وصدقٍ، وسكينةٍ، ومحبّةٍ.

«لقد أَكسبتنا الكثير. ففيها يستشفّ المرء علامةً من الله لعالمنا. إنّ تأكيدها على سرّ الفصح، وأُسلوب إجابتها على أَسئلتنا، أَدهشانا بعمق. وقد لفتت انتباهنا أَجوبةٌ مثل هذه:

«على سؤال: «ماذا غيّرت فيك مشاهدتك ليسوع؟».

أَجابت: «علّمني ذلك أن أرى وجه يسوع في كلّ شخصٍ».

«وعندما قال علمانيٌّ كان حاضرًا اللقاء إنّه يجد متعةً في الاحتفال مرّتين بالأسبوع العظيم، في كنائس كاثوليكيّة، ثمّ أُرثوذكسيّة، أَجابت ميرنا أنّها كانت، وهي حديثة السنّ، تحبّ التمتّع بأُسبوعي عطلةٍ بهذه المناسبة، ولكنّها الآن، وقد أَدركت أَلم يسوع بسبب فقدان الوحدة بين المؤمنين به، والذين يحتفلون بالفصح في تواريخ مختلفةٍ، لم يعد بوسعها أن تسعد بذلك...

«وقد تأثّرت إحدى الراهبات تأثّرًا خاصًّا بحبّ ميرنا لزوجها ولأَولادها. وقالت: «عندما شاهدتُ ميرنا مع ابنها جان إيمّانويل، أَدركت إلى أيّ مدًى الطفل هو عطيّة اللّٰه. وقد بدا لنا، نحن الراهبات، أنّ عطيّة اللّه هي، أَيضًا، في اختياره زوجةً وأُمًّا كي يطلع العالم على حبّه له».

«ومع أَنّ ميرنا هي شاهدةٌ على آلام الربّ، إلاّ أَنّها تشيع تلقائيًّا جوًّا من فرح الفصح وسلامه. وقد تأثّرتُ، أَيضًا،

لكونها تعدّ سمات الصلب أَصعب ما في رسالتها، بسبب التلفزيون، والكاميرات، والظهور العلنيّ... ولكنّ السمات في ذاتها عذبةٌ، لأَنّها يسوع».

ولا بدّ من إيراد مقتطفات من شهادة الدكتور الفرنسيّ فيليب لورون (Dr. Philippe LORON) المختصّ بالأَمراض العصبيّة، والذي يمارس مهنته في أَحد أَشهر مشافي باريس. وقد قال:

«إنّ مثال العائلة المسيحيّة، الذي تقدّمه ميرنا ونقولا، مع طفليهما، أَمرٌ مثيرٌ للانتباه. فهم مثيرون ببساطتهم، وطبيعتهم وحرارة استقبالهم في بيتهم المشرع برحابةٍ أَمام جميع الذين يقصدونه للصلاة. إنّ مثل هذا الواقع لشيءٌ خارقٌ، حتّى لو لم يكن هناك، لا انخطافٌ ولا انسكاب زيتٍ. ونحن ندرك تضحية هذين الزوجين، اللّذين يتقبّلانها طوعًا، وفي جاهزيّةٍ تتّسم، أَبدًا، بالمودّة حيال الآخرين...

«راقبت ميرنا، مرّاتٍ كثيرةً، خارج الأَحداث الخارقة. سلوكها يبدو لي طبيعيًّا، بسيطًا، خاليًا من أَيّ تصنّعٍ، أَو

كلامٍ غير مقبولٍ، وهي مضيافةٌ، ولكن دون انفعالٍ، تبتسم عند الحاجة، ولكن في انضباطٍ.

«بالمقابل، هي، أحيانًا، مستغرقةٌ في التأمّل، داخليّةٌ جدًّا. رأيتها، أيضًا، تضحك، فهي تشترك في المزاح (دون أن أحكم على المضمون، لأنّي أجهل اللغة العربيّة). يبدو لي أنّ لها سلوكًا سليمًا وطبيعيًّا، مع زوجها، ومع ولديها، وأهلها، والأبوين «معلولي»، و«زحلاوي»....

«لم ألاحظ أيّ ميلٍ عصابيٍّ، وخصوصًا أيّ تصرّفٍ ذي منشإٍ هستيريٍّ يفترض نزوعًا إلى التباهي، خارج الأحداث الخارقة...».

ومن شهادة العالمة النفسيّة الفرنسيّة «بريجيت سوڤغران»، نقتطف ما يلي:

«إنّ حركات ميرنا تلمسنا، لأنّها تبدي جيّدًا الحبّ الذي يملأ قلبها، هذا الحبّ الذي يجعلها دائمة الحضور والجاهزيّة والاشتراك في حياة محيطها، حتّى في أشدّ اللحظات ألمًا،

وهو يجعلها، في الوقت نفسه، متألّمةً، في أَعمق أَعماقها، في موقفٍ ذي بعدٍ داخليٍّ عظيمٍ...

«... إنّ حياة ميرنا غريبةٌ عن منطق العالم، عالمٍ يعلي شأن المصلحة الشخصيّة والنتيجة السريعة، اللتين تجلبان، غالبًا، العزلة والاضطراب، وتتعارضان، من خلال شهادة حياة ميرنا في الصوفانيّة، مع التنكّر للذات، والمجّانيّة، والانتظار، والتقدمة.

«إنّ ميرنا، إذ تغوص، عبر السنوات، في حياةٍ داخليّةٍ تزداد عمقًا، تلبّي النداء الذي ينبعث من أَعمق أَعماقها، إذ هي تنكر ذاتها، لتستقبل هذه العطيّة التي هبطت عليها..».

ومن شهادة المحلّلة النفسيّة الفرنسيّة «بيبيان بوكاي دو لاروك» (Bibiane Bucaille de la ROQUE) نقتطف:

«قبل كلّ شيءٍ، إنّ أَعظم ما لفت انتباهي هو أَنّ ميرنا تظلّ طبيعيّةً على نحوٍ مطلقٍ، أَيّةً كانت الأَوضاع. إنّها بسيطةٌ في موقفها، في حركاتها، في مشيتها، في تعابيرها.

«لديها إيمائيّاتٌ متنوّعةٌ جدًّا تبعًا للظرف، فهي مرّةً جادّةٌ،

وأُخرى، ضاحكةً، تارةً خاشعةً، وطورًا متألّمةً في نبلٍ ورصانةٍ، وهي حنونٌ... وهي أبدًا مندمجةٌ تمامًا مع ما تعيش في اللحظة الحاضرة. فثمّة انطباعٌ قويٌّ بالأَصالة يصدر منها.

«لم أَلحظ، في أَيّة لحظةٍ، تافهةٍ أو خارقةٍ، أيّ مسعىً منها للتظاهر، أَو للتمثيل، أَو الاستعراض. إنّه لمن الواضح أَنّه لا يُلحَظ لديها أَيّ مظهرٍ هستيريٍّ.

«وبالتلازم مع الجانب الطبيعيّ لديها، فهي تظلّ في غاية الهدوء، وليس لديها ما يسمّى الطبع العصبيّ. فإِنّي لم أُفاجئها البتّة في حالةٍ من نفاد الصبر أَو الغضب أَو الانزعاج أَو النرفزة، في حياتها اليوميّة، ومن خلال الآلام التي انتابتها يومي الخميس المقدّس، والسبت المقدّس...

«في مثل هذا المناخ من غياب السلوك الاستعراضيّ، لاحظتُ لدى ميرنا حشمتها في البساطة...

«إِنّها لا تكشف أَبدًا عمّا رأت أَو سمعت إلاّ إِذا سُئلت...

«يفوح من مجمل شخص ميرنا انسجامٌ كبيرٌ، انسجامٌ في مظهرها الجسديّ ومعنويّاتها. وممّا لا شكّ فيه أَنّ لها حضورًا،

حتّى في أبسط اللحظات، وعلى الرغم من تحفّظها...

«إنّها ذات زخمٍ حيويٍّ ممتازٍ، ومقاومةٍ وصلابةٍ تمكّنها من استعادة قوّتها بسرعةٍ كبيرةٍ. فليس في تكوينها الجسميّ البتّة ما يوحي بأنّها شخصٌ هشٌّ أو مريضٌ...

«انسجامٌ وأصالةٌ: صفتان جوهريّتان لدى ميرنا».

وعن تطوّر ميرنا الروحيّ يقول اللاهوتيّ الأب عادل تيودور خوري: «سار بها المسار إلى نضوجٍ بشريٍّ مرموقٍ، وعمقٍ في بصيرة القلب، وحياةٍ روحيّةٍ غير اعتياديّةٍ ممّا يشهد بعمل الروح القدس في حياتها». ويقول، أيضًا: «ميرنا تحيا من روح الصوفانيّة».

ويسرّنا أن نختم هذه الطائفة من الشهادات، بشهادة اللاهوتيّ الأب «رينيه لورنتان» (Rene LAURENTIN):

«ميرنا التي أعرفها جيّدًا، هي فوق كلّ الشبهات. هي متجرّدةٌ. إنّ هذه الأحداث سبّبت تدهورًا اقتصاديًّا للعائلة التي كان الرجل يقودها نحو أعلى درجات الرفاه. إنّها إنسانٌ استثنائيٌّ الشفافيّة، وخاليةٌ من الدهاء. هذه المرأة الفتيّة هي

زوجةٌ صالحةٌ، وأمٌّ حنونٌ، تتحمّل ما يحدث لها بعفويّةٍ تفقأ العين، وخاليةٍ من أيّ خداعٍ. ثمّ إنّ الرسائل التي تتلقّاها تنطوي على بُعدٍ نبويٍّ...».

وقد مَنّ الربّ على رسولته ميرنا بقدرةٍ مدهشةٍ على الشهادة بما خبرت في الصوفانيّة، بأسلوبٍ منقطع النظير. فتلك التي تبدو، غالبًا، في حياتها العاديّة، مغرقةً في البساطة، تسحر المستمعين عندما تتحدّث عن خبرتها الخارقة، بعباراتٍ تجمع الإيجاز إلى الوضوح، وتقرن البساطة بالعمق والإقناع، فتوجز، في دقائق، تجربة سنواتٍ، بتمكُّنٍ يحسدها عليه أرباب المنابر المتمرّسون.

وفي هذا الشأن يقول الأستاذ أنطون مقدسيّ: «إنّ ميرنا خجولٌ، تجهل فنّ الحديث، وتجد نفسها عاجزةً إذا اضطرّت للنقاش. ومع ذلك فحيثما تكون تزرع صوفانيّةً جديدةً، ويتجمّع حولها أصدقاء جُدُدٌ للعذراء القدّيسة... إنّها مربكةٌ ببساطتها، وتواضعها، وامّحائها».

وقبل اختتام هذا الفصل، لا مفرّ من الإشارة إلى ما طرأ،

أيضًا، على صاحب بيت العذراء في الصوفانيّة، زوج ميرنا، السيّد **نقولا نظّور** من تحوّلاتٍ مذهلةٍ، بفضل الحدث الخارق. فذاك الذي كان بعيدًا عن كلّ ما يمتّ إلى الدين والآخرة بسببٍ، ناشدًا للمتعة والنجاح المادّيّ، لم يتردّد في التضحية بأحلام النجاح والثروة، بل حتّى بحرّيّته، وراحته، وحميميّة حياته الخاصّة، كي ينصرف، بلا تململٍ ولا تحفّظٍ، إلى خدمة رسالة العذراء، مشرعًا أبواب بيته الذي غدا مُحتَلاً ليل نهار، لكلّ طارقٍ وزائرٍ، مشاركًا زوجته، أحيانًا، عناء رحلاتها الرسوليّة المنهكة، وآخذًا على عاتقه، أحيانًا أُخرى، استقبال الزائرين، والعناية بابنيهما، في أثناء سفرها.

لقد اكتشف منجمًا آخر للسعادة والفرح، مغايرًا لما كان يؤمن به، وتبدّلت جذريًّا نظرته وفلسفته في الحياة، وارتضى، خلافًا لما هو مألوفٌ في الشرق، أن يتوارى في ظلّ زوجته.

شهودٌ وأَعوانٌ استثنائيّون

قُيّض لظاهرة الصوفانيّة، منذ البدء، مرافقان واكبا مسيرتها، فسدّدا خطاها، ووقياها من التعثّر والكبوات، هما كاهنان ملتزمان، تميّزا على امتداد مسيرتهما الطويلة، بالوفاء لكهنوتهما، وبالتجرّد، ونصاعة النفس واليدين، والغيرة المضطرمة، والخدمة السمحاء، فحظيا، في أَوساط دمشق، ولا سيّما لدى الشبيبة، بالمحبّة والمصداقيّة. وهما الأَب يوسف معلولي اللعازريّ، الذي كان معلّماً لأَجيالٍ متتاليةٍ، ومربّيًا مثاليًّا، ولاهوتيًّا متمكّنًا، والأَب الياس زحلاوي، مؤسّس الرعيّة الجامعيّة بدمشق، وجوقة الفرح التي اكتسبت شهرةً تخطّت الحدود، والذي واكب مسيرة مئات الشبّان، باثًّا فيهم نار تقواه، ونور إيمانه.

هذان الكاهنان، كلاهما، كانا بنشأتهما، محصّنين ضدّ

الظواهر الخارقة، لا ينساقان بيُسرٍ إلى ما يشاع عنها. غير أنّ كلاًّ منهما، تلقّى، منذ فجر حدث الصوفانيّة، إشارةً شخصيّةً، ودعوةً خاصّةً، امتلكت عليه نفسه، وتغلغلت حتّى أغوار كيانه، فوقفا وقتهما، وطاقاتهما، وسمعتهما، على خدمة رسالة الصوفانيّة، بلا مللٍ، ولا تحفّظٍ، ولا حدودٍ. وكان لما يتمتّع به كلٌّ منهما من سمعةٍ ومصداقيّةٍ، أثرٌ محقّقٌ على إقناع من كان يخامره شكٌّ بشأن الظاهرة. كما كان لعملهما الدؤوب على تدوين الأحداث، بدقّةٍ وأمانةٍ، يدٌ طولى في توثيق الحدث، وفي نشره عبر العالم.

وإلى هذين الكاهنين انضمّ، لاحقًا، كاهنٌ شابٌّ يتميّز بالتقوى والتجرّد والأمانة والغيرة، هو الأب بولس فاضل البولسيّ، الذي تولّى عنهما بعض المهامّ، عندما كانت ظروفٌ قاهرةٌ تحول بهما دونها.

رسالة الصوفانيّة

تواترت، في السنوات الأخيرة، ظهورات السيّدة العذراء، في شتّى أرجاء المعمورة، بدافع حرص أُمّ الله وأُمّ البشر على خلاص أبنائها، وعلى تذكيرهم بواجباتهم الأساسيّة حيال نفوسهم وخالقهم، ورغبتها في حثّهم على عيش تعاليم ابنها، وفقًا لظروف زمانهم ومكانهم.

كان قد انقضى نحو ستّة عشر شهرًا على بدء ظهورات السيّدة العذراء في ميديوغورية، عندما بدأت تظهر في دمشق. ولا ريب أنّ بين رسائل السماء إلى مديوغورية، ورسائلها إلى دمشق قواسم مشتركة، غير أنّ بينها، أيضًا، وجوه تباينٍ في التوجّه، حسب احتياجات كلّ بيئةٍ، وتباينًا في الظواهر.

التذكير بتعاليم الإنجيل هو القاسم المشترك الرئيس في

جميع الظهورات. بيد أنّ لظاهرة الصوفانيّة خصوصيّاتٍ تتميّز بها، ليس فقط عن ميديوغورية، بل عن معظم الظواهر الخارقة في العالم.

وأهمّ تلك الخصوصيّات هو **تناوب يسوع وأُمّه** على تبليغ الرسائل وعلى الظهورات للرائية التي اختاراها. وفي الحالتين كانت المرّة الأولى التي تكلّم فيها الربّ وأُمّه **باللغة العربيّة**. وفي حين أدلى يسوع بكلّ رسائله باللغة العربيّة الفصحى، تناوبت العامّيّة والفصحى في رسائل السيّدة العذراء.

الميزة الثانية هي ميزة الزيت الذي واكب ظاهرة الصوفانيّة، والذي طالما سال من يدي ميرنا، في مناسباتٍ عديدةٍ، وأماكن شتّى، والزيت الذي انساب من إيقونة سيّدة الصوفانيّة، ومن مئات نسخها في سوريّة، وفي شتّى أرجاء المسكونة. زيتٌ مقطّرٌ في معصرة السماء كي يبلسم قلوب البشر، ويشفي أوجاعهم، ويوطّد إيمانهم بخالقهم وخالق كلّ شيءٍ. وقد حُلّل هذا الزيت في مخابر سوريّةٍ موثوقةٍ، وفي مخابر عالميّةٍ، فتبيّن كونه زيت زيتونٍ صافيًا. اشتمّ فيه

مسؤولون كنسيّون رائحة ميرون المعموديّة. وقد فاح منه، في مناسباتٍ معيّنةٍ، عطرٌ أخّاذٌ. ولم يُذكر، قطّ، من قبل، أَنّ في قدرة جسمٍ بشريٍّ أَو أَوراقٍ مطبوعةٍ، إفراز الزيت، ولا سيّما أَنّ غزارة الزيت الذي تدفّق، كانت مبعث دهشةٍ. فقد حرص المرحوم الأَب معلولي على زين الزيت الذي دأب على جنيه من الجرن الحاضن للإيقونة الصغيرة وحدها، فإذا به قد بلغ، بين عيد الفصح في ١٩٨٧/٤/١٩، و١٩٨٧/٩/١٢، أَي في غضون أَقلّ من خمسة أَشهر، ١٢٢٠ غرامًا.

ظاهرةٌ أُخرى تميّزت بها الصوفانيّة، هي **سمات صلب يسوع** التي كانت تتجلّى على جسم ميرنا، ولا سيّما في أَيّام أُسبوع الآلام، كلّما اشتركت الطوائف الكاثوليكيّة والأرثوذكسيّة بعيد الفصح معًا، في تاريخٍ واحدٍ.

هذه السمات قديمةٌ في المسيحيّة، وقد تجلّت على بعض القدّيسين والصوفيّين بدءًا بالقدّيس فرنسيس الأَسّيزي، وعبورًا بالطوباويّة مريم يسوع المصلوب (مريم البواردي)، وفي الآونة

الأَخيرة، تميّز بها القدّيس «الأَب پيّو»، والصوفيّة الفرنسيّة «مارت روبان». وقد دمغت، أَيضًا، بعض رؤاة يسوع وأُمّه.

غير أَنّ ما ميّز سمات ميرنا هي أَنّها كانت تظهر في مناسباتٍ معيّنة، فتشارك بها جراح الربّ، في أُسبوع آلامه، ثمّ يختفي كلّ أَثرٍ لها في غضون ساعاتٍ معدوداتٍ، من غير حاجةٍ إِلى أَيّ علاجٍ، أو مداخلةٍ بشريّةٍ.

وتبقى الرسائل هي العنصر الأَساسيّ في الصوفانيّة. وقد بلغ عددها، بين ١٩٨٢/١٢/١٨، و١٠/٤/٢٠٠٤، أَربعًا وثلاثين رسالة، خمس عشرة منها أَدلت بها السيّدة العذراء، وتسع عشرة بلّغها الربّ يسوع.

ويشترك مضمون هذه الرسائل، مع سائر رسائل الظهورات في العالم، بعناصر إِنجيليّة عديدةٍ، ولاسيّما الدعوة إِلى المحبّة، والصلاة، والتوبة، والمسامحة، والدعاء من أَجل الخطأة. غير أَنّ رسائل الصوفانيّة تميّزت، في هذا المضمار، بعباراتٍ فريدةٍ بقوّتها وكثافتها وعنفوانها، وأَبعادها، ولاسيّما تلك التي أَدلى بها الربّ نفسه.

فمنذ رسالتها الأولى ذكّرت العذراء بضرورة الالتفات إلى الله، والاعتصام به، وشدّدت على المحبّة، وصيّة يسوع الأولى، فبمعزلٍ عنها لا تستقيم صلاةٌ ولا صدقةٌ:

«**افعلوا الخير لفاعلي الشرّ، ولا تعاملوا أحدًا بالسوء.**

أحبّوا بعضكم بعضًا. أنا لا أطلب مالاً يُعطى للكنائس، ولا مالاً يوزّع على الفقراء، أطلب المحبّة. الذين يوزعون مالهم على الفقراء والكنائس وليس فيهم محبّة، فهم ليسوا بشيءٍ...

أعطوا، لا تحرموا أحدًا ممّن يطلبون النجدة».

وقال الربّ لميرنا: «**لا تكرهي أحدًا، فيعمى قلبك عن حبّي. أحبّي الجميع كما أحببتني وخصوصًا الذين أبغضوك، وتكلّموا عليك. فعن طريقهم تكتسبين المجد**» (٢٦/١١/١٩٨٧).

وقال يسوع في ٢٨/٥/١٩٨٧: «**أحبّوا بعضكم بعضًا، وصلّوا بإيمان**»، وكأنّه يؤكّد أن لا صلاة ولا إيمان، بمنأى عن المحبّة.

وبشأن **الصلاة**، وردت رسائل تردّد أقوال رسائل ميديوغورية، مثل قول يسوع: «**صلّوا، صلّوا، وصلّوا**»، وهذه العبارة عينها طالما كرّرتها العذراء في ميديوغورية، وهي ليست دعوةً إلى مجرّد الاستفاضة في الصلاة، بل إلى التوغّل في جوهرها، وإلى الاتّصال الدائم بالربّ، كما يتّضح من قول يسوع: «**قولي لأبنائي أن يأتوا إليّ في كلّ ساعةٍ، وليس (فقط) عندما أُجدّد عيد أُمّي، فأنا معهم في كلّ وقتٍ**»، وقوله أيضًا: «**أبنائي أعطيتكم وقتي كلّه، أعطوني جزءًا من وقتكم**»، فالربّ على موعدٍ دائمٍ مع أبنائه في الصلاة، حيثما وُجدوا، وفي كلّ لحظةٍ. وقد أكّد الأُستاذ مقدسي هذه الحقيقة بقوله: «كلّما خطونا نحو الله بالصلاة خطوةً واحدةً، خطا نحونا خطواتٍ. إنّه دائمًا، ينتظرنا، يسبقنا، يهبّ لملاقاتنا، لمجرّد أن نلتفت نحوه وندعوه. ولذلك أكاد أقول إنّ الصلاة لوحدها تشكّل كلّيّة التربية المسيحيّة، وبمعنًى ما، كلّيّة الحياة الدينيّة».

وتؤكّد الرسائل أنّ الصلاة ليست مجرّد ترديد عباراتٍ موضوعةٍ، وشخوصٍ إلى الكنائس «**لأنّ الذين يذهبون إلى**

الكنيسة **أحيانًا لا يذهبون للصلاة**». وهذا ما عناه يسوع بأقواله لميرنا: «**اجتهدي بالصلاة، وليرافق صومَك التأمّل والاختلاء، فتسمعين صوتي في داخلك**» (٢٠٠١/٤/١٤) وقوله: «**صلّي بعبادة**» و«**صلّي لتتمّ فيك مشيئة الله**» (١٩٨٤/٥/٣١).

وعبّرت السيّدة العذراء عن حبّها لرؤية أبنائها يصلّون، فقالت، في ١٩٨٣/٣/٢٤: «**أقول لكم: صلّوا، صلّوا، وصلّوا. ما أجمل أبنائي راكعين، طالبين!**».

وقالت أيضًا، في ١٩٨٩/٨/١٨: «**قولي للجميع أن يكثروا من الصلاة، لأنّهم بحاجةٍ إلى الصلاة، لإرضاء الآب**».

وكــان يســوع قــد قــال، في ١٩٨٨/١١/٢٦: «**عليكم بالصوم والصلاة، لأنّكم بالصلاة تواجهون حقيقتي، وتجابهون كلّ الضربات**». ولطالما وجّهت أمّ الله مثل هذه الدعوة في ميديوغورية.

غير أنّ في رسائل الصوفانيّة أقوالاً فريدةً ببعد إيحائها،

مثل قول الربّ «**صلّوا من أجل الذين نسوا وعدهم لي...**» (١٩٨٨/١١/٢٦)، وقوله: «**صلّوا من أجل الخطأة، فكلّ كلمة صلاةٍ، أسكب فيها قطرةً من دمي على أحد الخطأة**» (١٩٨٦/١١/٢٦)، وقوله: «**صلّوا، صلّوا، وصلّوا، وإذا صلّيتم قولوا: «أيّها الآب، بحقّ جراحات ابنك الحبيب خلّصنا**». وعلى هذا القول علّق الأستاذ مقدسي: «فجراح الإله وحدها يمكن أن تتّسع لجراح البشريّة».

لقد أكّد يسوع وأُمّه ما أوحى به الربّ في الإنجيل أنّ الصلاة هي، في المقام الأوّل، عبادةٌ بالروح، وتأمّلٌ، وحياةٌ مع الله وبه، وهذا ما يتضمّنه قوله: «**مغفورةٌ لكم زلاّتكم لأنّكم تنظرون إليّ، ومن نظر إليّ أرسم صورتي فيه**». وويلٌ لمن يدّعي الصلاة، وقلبه خالٍ من العبادة!

وبإعلان العذراء منذ بدء الظاهرة عن عزمها الإكثار من زيارة البيوت، أعربت عن رغبتها في إحياء الصلاة العائليّة، وتحويل البيوت إلى كنائس يسكنها الحبّ، وتغمرها الصلاة. وكما قيل، في أن تمسي الكنيسة عائلةً، والعائلة كنيسة بيتيّةً صغيرةً.

وقد أكّدت العذراء عدم تعارض الصلاة مع السرور، وقد حفلت رسائل الصوفانيّة بالتفاؤل، فمنذ رسالتها الأولى قالت: «**اذكروني في سروركم**»، ولا تتعارض مع الحياة الطبيعيّة: «**عيشي حياتك، ولكن الحياة لا تمنعك من أن تتابعي الصلاة**»، فالصلاة المستمرّة هي عنصرٌ أساسيٌّ من الحياة المسيحيّة.

وطلبت العذراء الصلاة من أجل الجميع: «**صلّوا لساكني الأرض والسماء**»، وطلب يسوع الصلاة التكفيريّة، الصلاة من أجل الخطأة، ومن أجل «**الذين يغفرون باسمي، وينكرون أمّي**».

وأوصى يسوع بصلاةٍ مستقاةٍ من كتاب «الاقتداء بالمسيح»، حريٌّ بكلّ مؤمنٍ أن يتلوها بتواتر، وهذا نصّها:

«**يا يسوع الحبيب،**

هبْ لي أن أستريح فيك، فوق كلّ شيءٍ، فوق كلّ خليقةٍ، فوق جميع ملائكتك، فوق كلّ مديحٍ، فوق كلّ سرورٍ وابتهاجٍ، فوق كلّ مجدٍ وكرامةٍ، فوق جميع جيش

السماء. فإنّك أنت وحدك العليّ، أنت وحدك القدير والصالح فوق كلّ شيءٍ. فلتأتِ إليّ، وتفرّج عنّي، وتفكّ قيودي، وتمنحني الحرّيّة. فإنّني بدونك لا يتمّ سروري. بدونك مائدتي فارغة».

حينئذٍ آتي لأقول: ها أنذا أقبلت، لأنّك دعوتني».

وفي هذا السياق أكّد الربّ، أيضًا، على عظمة سرّ الإفخارستيّا، فقال في رسالته بتاريخ ٢٠٠١/١١/٢٦: «**إنّي أقدّم لكم جسدي ودمي، عربون وفائي ومحبّتي. اقبلوا منّي هذا السرّ بثقةٍ وإيمانٍ، فهو يعزّيكم، ويمنحكم قوّةً وحكمةً، ويزيدكم نعمًا... بالأسرار أتّحد معكم**».

ودعت العذراء، منذ رسالتها الأولى، إلى **التوبة والإيمان**، قائلةً: «**توبوا وآمنوا**»، وإلى **التبشير بيسوع**، فهو واجبٌ أساسيٌّ: «**بشّروا بابني عمّانوئيل. من بشّر خلص. ومن لم يبشّر فإيمانه باطل**». ويسوع قال لميرنا: «**اذهبي وبشّري، وأينما كنت، فأنا معك**». (١٩٨٨/٩/٧). وفي ١٩٨٨/١٠/١٠ قال لها الربّ: «**ابنتي ماري، لماذا تخافين، وأنا معك؟**

عليك أن تتكلّمي، وبصوتٍ عالٍ، بكلمة الحقّ، عن الذي خلقكِ لتظهر قوّتي فيك. وأنا سأُعطيك من جراحاتي لتنسي عذابات البشر لك». «اذهبي إلى الأرض التي عمّ فيها الفساد».

وأشارت السيّدة العذراء إلى عقيدة **الثالوث**، ووحدة أقانيمه، فنسبت إليهم مهمّاتٍ تختلف عمّا درج عليه التقليد، فأوصت بهذه الصلاة: «**الله يخلّصني، يسوع ينوّرني، الروح القدس حياتي، فأنا لا أخاف**». وأكّد يسوع هذه العقيدة، أيضًا، عندما قال عن أمّه: «**افرحوا لفرح السماء، لأنّ ابنة الآب، وأُمّ الله، وعروس الروح وُلدت**».

وأكّدت العذراء **شركة القدّيسين** بقولها: «**صلّوا لساكني الأرض والسماء**». وأكّدها يسوع أيضًا بقوله: «**صلّوا من أجل الخطأة. فكلّ كلمة صلاةٍ، أسكب فيها قطرةً من دمي على أحد الخطأة**».

وأكّد كلاهما على ضرورة **حمل الصليب**، وعلى النعم

التي تنحدر منه، فالعذراء قالت في ١٩٨٣/٢/٢١: «**احملوا وسامحوا، احملوا، أقلّ بكثيرٍ ممّا حمل الآب**». وجاء في الحوار الذي انعقد بين يسوع وميرنا بتاريخ ١٩٨٥/١١/٢٦:

«**ابنتي،**

أتريدين أن تكوني مصلوبةً أم ممجّدةً؟».

أجابت ميرنا: «ممجّدةً».

ابتسم يسوع وقال: «**أتفضّلين أن تكوني ممجّدة من الخلقِ أم من الخالق؟**».

أجابت ميرنا: «من الخالق».

قال يسوع: «**وهذا يكون بالصلب. لأنّك كلّما نظرتِ إلى الخلائق، ابتعد عنكِ نظر الخالق.**

«**أُريدك، يا ابنتي أن تجتهدي بالصلاة، وتحتقري نفسكِ. فمن احتقر نفسه، ازداد قوّةً ورفعةً من الله.**

«**أنا صُلبتُ حبًّا بكم، وأُريد أن تحملوا وتتحمّلوا صليبكم من أجلي، بطوعٍ ومحبّةٍ وصبرٍ، وتنتظروا**

قدومي. فمن شاركني بالعذاب، أُشاركه بالمجد، ولا خلاص للنفس، إلاّ بالصليب.

«لا تخافي، يا ابنتي، سأعطيك من جراحاتي ما تفين به ديون الخطأة. فهذا هو الينبوع الذي ترتوي منه كلّ نفس. وإذا طال غيابي، واحتجب النور عنك، فلا تخافي. إنّما هذا لتمجيدي...».

ثمّ قال لها، بتاريخ ١٩٨٦/١١/٢٦: «لا تضطربي من الأرضيّات، فبجراحاتي تكتسبين الأبديّة». وبتاريخ ١٩٨٧/٩/٧ قال لها: «واعرفي أنّ حمل الصليب لا بدّ منه». وقال لها في ١٩٨٨/١٠/١٠: «أنا سأعطيك من جراحاتي لتنسي عذابات البشر لك». وقد علّق الأُستاذ مقدسي على هذا القول: «خارج الصلب وآلامه، لا خلاص للنفس التي تستمدّ قوّتها من جراح يسوع. قال يسوع لميرنا: «أنا صلبتُ حبًّا بكم» وهو يطلب منّا، بخفرٍ، أن نبادله حبًّا بحبٍّ، فنصلب ذواتنا من أجل القريب».

وفي يوم خميس الأسرار، بتاريخ ٢٠٠٤/٤/٨، قال

الربّ، مشيرًا إلى قلبه: «**هذا هو الينبوع الذي ترتوي منه كلّ نفس. جرح قلبي هو ينبوع الحبّ، أمّا الجراحات، فهي بسبب جريمةٍ لم أقترفها**».

وأكّد يسوع وأمّه على **قدسيّة الزواج**، الذي لا ينفكّ يفقد، كلّ يومٍ، الكثير من قداسة سرّه. فالسيّدة العذراء قالت لميرنا، في ١٩٨٣/١١/٢٥، «**ما جئت لأُفرّق. حياتك الزوجيّة ستبقى كما هي...**» ويسوع قال لها، في ١٩٨٣/٥/٣١: «**عيشي حياتك هنيئةً مستقلّة**» (أي غير متأثّرةٍ بأقوال الناس). وقال لها في ١٩٨٨/١٠/١٠: «**لا تختاري طريقك لأنّي أنا رسمتها لك**». وفي ٢٠٠١/٤/١٤ طمأنها قائلاً: «**أنا لن أتخلّى عنك وعن عائلتك**»، وكان قد قال لها، في ١٩٨٧/١١/٢٦: «**استمرّي في حياتك زوجةً، وأُمًّا، وأُختًا**».

وأكّدت رسائل الصوفانيّة على **سلام المسيح**، السلام الحقّ الذي ينبع من الحياة في الله، ويستقرّ في أعماق النفس. فقد قال يسوع، في ١٩٨٤/٥/٣١: «**سلامي أُعطيكم**»، وقال

مخاطبًا ميرنا: «**لا يكن سلامك على ألسنة الناس، سواءٌ كان خيرًا أم شرًا... فمن لا يبتغِ رضى البشر، ولا يخشَ عدم رضاهم، يتمتّع بالسلام الحقيقيّ، وهذا يكون فيّ أنا**». وفي ختام رسالة ١٩٨٥/١١/٢٦ قال لها: «**اذهبي إلى الأرض التي عمّ فيها الفساد، وكوني بسلام الله**». وفي ١٩٨٦/١١/٢٦ قال: «**ما أجمل هذا المكان، فيه سأُنشئ ملكي وسلامي...**». وفي ١٩٨٩/٨/١٨، قالت العذراء لميرنا: «**لا يهمّك ما يُقال عنك، بل كوني بسلامٍ لأنّ الخليقة تنظر إليّ من خلالك**»، ثمّ قالت لها، في ١٩٩٠/١١/٢٦: «**كوني بسلام، كوني بسلامٍ، يا ابنتي... تعالي ليعطيك السلام كي تتمكّني أن تنشريه بين البشر**». وفي ٢٠٠١/٤/١٤، قال لها يسوع، أيضًا: «**وجّهي نظرك إليّ، تجدي السلام والراحة، فأنا من يقوّيك، وأنا من يلقيكِ، وأنا من ينتشلك، لأقودك إلى فرح السماء**». ثمّ أنذر الربّ، في ٢٠٠١/١١/٢٦: «**إنّ أيّامًا صعبةً آتيةٌ، اضطرابات في داخل الكنيسة، والذي لا ينعم بالسلام الحقيقيّ، الانقسام يشكّل عليه خطرًا.**

لا تستسلموا للفشل، ولا تهتمّوا بما يحكم به الآخرون عليكم. لا تدافعوا عن أنفسكم، ولا تطلبوا إلاّ الذي أعددته لكم. أنا أُدبّر أُموركم، لأنّكم عمل يدي».

وكيف لا ينعم بالسلام من كان الله معه؟ هذا ما دأب يسوع وأُمّه على تأكيده، فهما راغبان في أن يتحرّر أبناؤهما من كلّ خوفٍ، بالاتّكاء عليهما. فمنذ رسالة ١٩٨٣/٢/٢١ قالت السيّدة العذراء: «**طالبة منكنّ طلب: كلمة بترسّخوها ببالكن، بتردّدوها دومًا: «الله بخلّصني، يسوع بنوّرني، الروح القدس حياتي، فأنا لا أخاف**». وخاطبت أبناءها في ١٩٨٣/٣/٢٤، قائلةً: «**لا تخافوا، أنا معكم**».

إنّ الأُمّ السماويّة حاضرةٌ دائمًا في الصوفانيّة. ويقول الأُستاذ مقدسي بهذا الشأن: «الأُمّ القدّيسة هي دائمًا تحت تصرّف أبنائها الذين يتمتّعون بحرّيّة المجيء لتحيّتها في كلّ ساعةٍ من النهار والليل. كلّ شيءٍ مجّانيّ في بيت العذراء، كلّ شيءٍ تلقائيٌّ، بسيطٌ، مباشرٌ».

وفي رسالتها بتاريخ ١٩٨٣/١٠/٢٨، ردّدت السيّدة

العذراء قول: «**لا تخافي**»، فقالت: «**لا تخافي، هذا كلّه ليتمجّد اسم الله، لا تخافي سأربّي جيلي فيك**». وقالت لها، ثانيةً، في ١٩٨٥/٨/٤: «**أنا مسرورةٌ، لا تخافي...**». ثمّ قال لها يسوع، في ١٩٨٥/١١/٢٦: «**لا تخافي، يا ابنتي، سأعطيك من جراحاتي ما تفين به ديون الخطأة...**». وبتاريخ ١٩٨٦/١١/٢٦ بلّغها: «**لا تضطربي من الأرضيّات، فبجراحاتي تكتسبين الأبديّة... اذهبي بسلام، وقولي لأبنائي أن يأتوا إليّ في كلّ ساعة، وليس عندما أُجدّد عيد أمّي. فأنا معهم في كلّ وقت**». وقال لها ثانيةً، في ١٩٨٧/١١/٢٦: «**... لا تضايقك المصاعب والأوجاع التي ستأتي إليك، بل أُريد أن تقوي عليها، وأنا معك، وإلاّ خسرتِ قلبي**». ثمّ كرّر، في ١٩٨٨/١٠/١٠: «**لماذا تخافين وأنا معك؟ عليك أن تتكلّمي، وبصوتٍ عالٍ، بكلمة الحقّ عن الذي خلقك لتظهر قوّتي فيك**». وبتاريخ ١٩٨٨/١١/٢٦، قال لها، أيضًا: «**لا تخافي، إذا طال عليك سماع صوتي، بل كوني قويّةً، وتأكّدي أنّني معك ومعكم جميعًا**».

ثمّ بلّغ الربّ رسالةً، في ٢٠٠١/٤/١٤، شدّد فيها عزائم أبنائه، فقال: «... **لا تخافوا، إذا فشلتم، اثبتوا على الرجاء، ثقوا بي، فلن أتخلّى عنكِ، وعن عائلتك، وعن كلّ من ساهم معك، إكرامًا لي، ومن أجل ذاتي**».

ولطالما تكلّم يسوع وأُمّه عن **الكنيسة**. وشدّوا على ضرورة وحدة المسيحيّين، فمنذ رسالتها الرابعة، بتاريخ ١٩٨٣/٣/٢٤، قالت العذراء: «**أسّسوا كنيسة، لم أقلْ: ابنوا كنيسة. الكنيسة التي تبنّاها يسوع كنيسةٌ واحدةٌ، لأنّ يسوع واحد. الكنيسة هي ملكوت السموات على الأرض. من قسّمها أخطأ، ومن فرِح بتقسيمها، فقد أخطأ. بناها يسوع، كانت صغيرةً، وعندما كبرت انقسمت، ومن قسّمها ليس فيه محبّة**». ثمّ أكّدت، بتاريخ ١٩٨٥/٨/٤ القول عينه: «**الكنيسة هي ملكوت السموات على الأرض. من قسّمها فقد أخطأ، ومن فرح بتقسيمها فقد أخطأ**». وكرّر الربّ هذا القول عينه: «**الكنيسة هي ملكوت السموات على الأرض. من قسّمها أخطأ، ومن فرح بتقسيمها، فقد أخطأ...**». وأوضحت العذراء هويّة

الكنيسة التي يحبّها يسوع ويريدها، في رسالتها بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢٦، حيث قالت: «**أولادي، قال يسوع لبطرس: أنا الصخرة، وعليها سأبني كنيستي. وأقول أنا الآن: أنتم القلب الذي فيه سيبني يسوع وحدانيّته**».

فبما أنّ للكنيسة كلّ هذه المكانة، وهذا الشأن، في قلب يسوع وأُمّه، فانقسامات أبنائهما تؤلمهما، ويؤلمهما أن يكون عيد الفصح، وهو ركيزة المسيحيّة وعمادها، ورمز أُلوهة يسوع وانتصاره، عنوانًا لفضيحة انقسام المسيحيّين، بحججٍ سخيفةٍ، تخفي كبرياء راسخةً، ومصدر حزنٍ للربّ وأُمّه، وعلّة حرجٍ لمعظم المؤمنين؛ ويتجلّى هذ الخلاف بكلّ حدّته، في شرقنا العربيّ، حيث تتعايش أكبر فئتين مسيحيّتين، ومع ذلك تحتفل كلٌّ منهما بعيد الفصح بتاريخٍ مختلفٍ، إلاّ في سنواتٍ قليلةٍ. هذا الوضع المؤلم كان موضع نداءاتٍ متكرّرةٍ من يسوع وأُمّه، بغية تجاوزه، لعلّ تخطّي خلاف التواريخ يفضي إلى تخطّي خلافاتٍ أُخرى، وإلى وحدة جميع أَتباع يسوع.

في رسالتها الرابعة بتاريخ ١٩٨٣/٣/٢٤، التي أومأنا إليها، ندّدت السيّدة العذراء بفقدان المحبّة الذي أفضى إلى مأساة الانقسام، وأشارت إلى العلاج بقولها: «**لا تتفرّقوا مثل تفريق الكبار. أنتم ستعلّمون الأجيال كلمة الوحدة، والمحبّة والإيمان**». وبقولها هذا أعطت الوحدة الأولويّة حتّى على المحبّة والإيمان.

وفي مستهلّ شهرها، أي في ١٩٨٥/٥/١، أطلقت أُمّ الله صيحةً جريحةً، ودعوةً ملحّةً إلى الوحدة: «**أولادي اجتمعوا. قلبي مجروح. لا تدعوا قلبي ينقسم على انقسامكم**». وعشيّة عيد انتقالها، في ١٩٨٥/٨/١٤، عبَّرت السيّدة العذراء عن أُمنيّتها الغالية، فهتفت: «**كلّ عام وإنتو بخير. هذا هو عيدي لمّا بشوفكن كلّكن مجتمعين مع بعض. صلاتكن هي عيدي. إيمانكن هو عيدي، إتّحاد قلوبكن هو عيدي**».

وعبّر يسوع عن رغبةٍ ماثلةٍ في رسالته بتاريخ ٢٦/ ١١/ ١٩٨٧، حيث قال: «**اذهبي وبشّري في العالم أجمع،**

وقولي بلا خوفٍ أن يعملوا من أجل الوحدة». وفي ١٩٨٨/٨/١٤ كرّر قول أمّه: «أنتم كنيستي وقلبكم ملكٌ لي. إلاّ إذا هذا القلب امتلك إلهًا غيري. لقد قلت: الكنيسة هي ملكوت السموات على الأرض، من قسّمها أخطأ، ومن فرح بتقسيمها، فقد أخطأ..».

ومرّةً أخرى، في ١٩٨٨/٩/٧ عبّر عن رغبته الملحّة في الوحدة، وعن امتعاضه ممّن يقفون عثرةً دون تحقيقها، فقال: «قولي لأبنائي بأنّني أطلب منهم الوحدة، ولا أُريدها من الذين يمثّلون عليهم بأنّهم يعملون من أجل الوحدة». وكما أَلِف، بمناسبة كلّ احتفالٍ بذكرى ظهور أُمّه الأوّل، أكّد طلبه، بتاريخ ١٩٨٨/١١/٢٦: «كلّ ما أُريد هو أن تجتمعوا كلّكم فيّ، كما أنا في كلّ واحدٍ منكم».

وانطوت رسالته، يوم سبت النور الموافق ١٩٩٠/٤/١٤ على إنذارٍ بليغ: «أبنائي، أنتم ستعلّمون الأجيال كلمة الوحدة والمحبّة والإيمان. أنا معكم. لكن، يا ابنتي، لن تسمعي صوتي إلاّ والعيد واحد».

وهذا ما أكّدته العذراء، يوم الذكرى الثامنة لظهورها، بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٦ إذ قالت: **«لا تخافي، يا ابنتي، إذا قلت لك بأنّ هذه آخر رؤيا، إلى أن يتوحّد العيد. إذن، قولي لأبنائي: هل يريدون أن يروا ويتذكّروا جراحات ابني فيك أم لا؟ فإذا هان عليهم أن تتألّمي مرّتين، فأنا أمٌّ لا يهون عليّ أن أرى ابني يتألّم مرّات»**.

«أمّا الزيت فسيبقى يظهر على يديكِ لتمجيد ابني يسوع متى يشاء، وأينما ذهبت، فإنّنا معك، ومع كلّ واحدٍ يتمنّى أن يكون العيد واحدًا». أكّدت ذلك باسمها وباسم ابنها.

وعاد يسوع، في رسالة ٢٠٠١/١١/٢٦، فعبّر عن رغبته في تحقيق الوحدة، قائلاً: **«ما أجمل العائلة التي شعارها الوحدة والمحبّة والإيمان! دربها دربي، عونها أُمّي»**.

وحدة المسيحيّين، ووحدة الكنيسة، جسد المسيح السرّيّ، هي، إذن، هدفٌ رئيسٌ لظاهرة الصوفانيّة، وعنصرٌ أساسيٌّ من رسالةٍ خُصَّت بها دمشق، فمسيحيّوها يتألّمون، على نحوٍ

خاصٍّ، من جريمة انقسامهم، وفضيحته. ولا ريب أنّ الوحدة تبدأ بالذات، بالأُسرة، بالمجتمع الصغير، ثمّ تتحقّق بالكنيسة، بعد أن يكون الأفراد قد تحرّروا من الأنانيّة.

وثمّة أمرٌ آخر تميّزت به رسالة الصوفانيّة عن سائر الظواهر المعروفة، ربّما بسبب مشاركة يسوع نفسه، بقسطٍ وافرٍ من رسائلها، والتي شدّد فيها على **مكانة أُمّه العذراء**، الفذّة في تدبير الخلاص، وفي قيمة وساطتها الجلّى. وقد وردت أقواله، بهذا الشأن، في عباراتٍ منقطعة النظير، سموًّا، وقوّة تعبير، ووضوحًا. وهي أقوالٌ كفيلةٌ بإخزاء جميع الدخلاء المتحذلقين الذين يجهدون في الحطّ من شأن أُمّ الله، وفي تهميشها، في بلدٍ طالما ظلّ، بكلّ طوائفه الأصليّة، وفيًّا للعذراء، حريصًا على تكريمها، معتمدًا على شفاعتها ووساطتها.

فما أروع وما أبلغ قول يسوع في رسالته بتاريخ ١٩٨٥/٩/٧ ! : «**أنا الخالق، خلقتُها لتخلقني. افرحوا لفرح السماء، لأنّ ابنة الآب، وأُمّ الله، وعروس الروح**

وُلدت. ابتهجوا لابتهاج الأرض، لأنّ خلاصكم قد تحقّق».

وما أعمق قوله في ١٩٨٧/٨/١٤، وما أَجدره بالتأمّل! : «**هي أُمّي التي وُلدتُ منها. من أَكرمها أَكرمني. من نكرها نكرني، ومن طلب منها نال، لأَنّها أُمّي**».

أمّا الرسالة التي أَدلى بها في لوس أَنجيلوس، بالولايات المتّحدة، بتاريخ ١٩٨٨/٨/١٤، فقد فاضت مرارةً بسبب الذين يسعون إِلى الحطّ من شأن أُمّه، والذين يصفهم بالخطأة، فيقول: «**صلّوا من أَجل الخطأة الذين يغفرون باسمي، والذين ينكرون أُمّي**».

وعن شفاعة أُمّه العذراء، قال في رسالة ٢٠٠١/٤/١٤: «**أَبنائي، أَعطيتكم إِشارةً لتمجيدي. تابعوا طريقكم وأَنا معكم، وإِلاّ أَغلقت أَبواب السماء في وجوهكم**».

«**ولكن هنا أُمٌّ تتألّم، تصلّي، تقول لي: «يا ربّ، أنت الحبّ كلّه» فأَقول: «لا تيأسي يا باب السماء، لأَنّي أُحبّهم، وأُريد أَن يبادلوني هذا الحبّ بالعطاء»**.

وجديرٌ بالإشارة أنّ الربّ كان قد باشر الإدلاء بهذه الرسالة يوم سبت النور، في ١٩٨٧/٤/١٨، غير أنّه لمّا انتهى إلى الإنذار المخيف بإغلاق باب السماء، لم يهن على من دُعيت «**باب السماء**» أن يدبّ الذعر واليأس في قلوب أبنائها، فتوقّف عن إكمال رسالته، ربّما نزولاً عند رغبتها، ريثما يكون أولئك الأبناء متأهّبين لإدراك مغزى قوله. وقد أماط اللثام عن ذلك، في يوم سبت نورٍ آخر، ولكن بعد أربع عشرة سنة، مشيرًا إلى دور أُمّه الرئيس في الشفاعة والخلاص.

وأدلى الربّ برسالته الأخيرة في الصوفانيّة، يوم سبت النور الواقع في ٢٠٠٤/٤/١٠، فضمّنها توصيةً **بالشرق**، ربّما لأنّ الشرق ما زال أكثر اعتصامًا بالإيمان من البلدان التي وصفها هو نفسه «**بالأرض التي عمّ فيها الفساد**». هذه التوصية، أيضًا، هي من ميزات رسائل الصوفانيّة. أمّا نصّ الرسالة فهو:

«**وصيّتي الأخيرة لكم: ارجعوا كلّ واحدٍ إلى بيته،**

ولكن احملوا الشرق في قلوبكم. من هنا انبثق نورٌ جديد، أنتم شعاعه، لعالمٍ أغوته المادّة والشهوة والشهرة، حتّى كاد أن يفقد القِيَم.

أمّا أنتم، فحافظوا على شرقيّتكم.

لا تسمحوا أن تُسلَب إرادتكم، حرّيّتكم، وإيمانكم في هذا الشرق».

ولطالما أكّد الربّ وأُمّه عزمهما على تربية **جيلهما** في ميرنا والصوفانيّة، وأوحيا أنّ أبناء الصوفانيّة مكلّفون بتعليم الأجيال كلمة الوحدة والمحبّة والإيمان. هذه الأقوال، فضلاً عن إلماحها إلى **المهمّة التربويّة** التي تهدف إليها رسائل الصوفانيّة، تعني، أيضًا، أنّها مشرعةٌ على مستقبلٍ مترامي الآفاق.

بالإجمال، انطوت رسائل الصوفانيّة، التي تناوب على الإدلاء بها كلٌّ من يسوع وأُمّه العذراء، بكلماتٍ وجيزةٍ، بسيطةٍ، خاليةٍ من فخامة الصوْغ، ومن جزالة التعبير، قد

انطوت على حقائق فائقة السموّ ترسم درب الحياة الحقّ، للحاضر وللمستقبل، لشرقنا وللعالم.

وقد بات جليًّا أنّ رسائل الصوفانيّة، إن هي إلاّ تأكيدٌ لتعاليم الإنجيل، وقد وصفها أحد اللاهوتيّين بأنّها «الإنجيل عينه».

وقال الأُستاذ أنطون مقدسي، في هذا السياق: «ليست الصوفانيّة خارج الكنيسة أو بجوارها. إنّها النواة الصلبة التي يستخدمها الله، كي يعيد للكنيسة دعوتها الأصليّة... ليست الصوفانيّة، بالتأكيد، كنيسةً إضافيّةً، ولكنّها ليست خارج الكنيسة، ولا إزاءها. إنّها في قلب الكنيسة». وقال أيضًا: «إنّ في حياة الصوفانيّة البوادر الأولى لدستور حياةٍ كاملةٍ!» وقد لخّص مضمون رسائل الصوفانيّة، بأنّها تأكيد «أنّ الإنسان صديقٌ ليسوع بمقدار ما يستأصل من ذاته جذور العالم والحياة الدنيويّة. وقد دعا يسوع إلى المحبّة الشاملة، والصلاة، وإلى ضرورة اللجوء إليه بواسطة أُمّه. إنّه يعيدنا إلى بداية المسيحيّة».

أمّا عن الأُمّ القدّيسة، فيقول المقدسيّ، إنّها، طيلة سنواتٍ «تردّد على مسامعنا، على مرأًى من العالم، وبأشكالٍ عديدةٍ، إنجيلاً عاشته كلّه، بكلّ جسدها وروحها، وهي تصلّي صامتةً، تعاني آلام القهر مع المقهورين، وآلام الجوع مع الجائعين، وآلام المرض مع المرضى، آلام الصلب مع المصلوبين... صلّت في ذلك الزمان، وهي تصلّي اليوم من أجل زماننا، وكلّ الأزمنة».

ويقول اللاهوتيّ الأب رونيه لورنتان عن رسائل الصوفانيّة إنّها «تنطوي على بُعدٍ نبويٍّ... والسمات هي اكتمالٌ مجّانيٌّ للاشتراك في آلام المسيح. أمّا الزيت... فهو يعني وداعة الله، وقربه، وتغلغله الداخليّ، وقدرته على التجديد والشفاء، وهذا بالذات ما تثبته الاهتداءات والأشفية في الصوفانيّة».

وقد وصف الأب اليسوعيّ زيغموند كفوتيكوفسكي بيت العذراء في الصوفانيّة، بأنّه بيتٌ تُقَدَّم فيه العبادة للّه الآب، بواسطة ابنه الوحيد، في الروح القدس. فهذا البيت هو،

إذن، إلى حدٍّ ما، صورةٌ للكنيسة، خصوصًا لأنّه بيتٌ نلمس فيه، على نحوٍ مميّزٍ، حضور العذراء مريم، أُمّ الكنيسة، إنّه، على نحوٍ ما، بيت الناصرة المقدّس.

ميرنا في لقاء مع الراهبات الحبيسات
في فيسك - فرنسا، آب ٢٠٠٤

الزيت يرشح من يد ميرنا في كنيسة يسوع الملك في تورنتو
آب ٢٠٠٢

ميرنا مع بعض المسؤولين في جامعة ستوبنفيل
منهم الدكتور شريك ومريافال

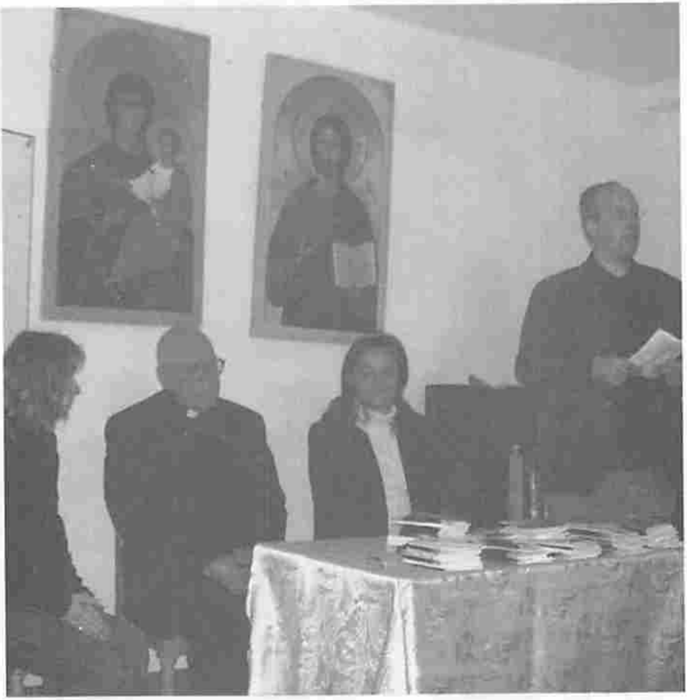

الدكتور أنطوان أرجاكوفسكي يفتتح اللقاء الذي عقد لأربعة أيّام
في دير «أونيف» أوكرانيا حول الصوفانيّة

ثمارٌ وآفاقٌ

يُنسَب إلى البابا يوحنّا الثالث والعشرين قوله: «مرَّة أُخرى، سيشرق نور المسيحيّة من دمشق». وقد سُمِّيَت الصوفانيّة «معجزة دمشق» وصدرت كتبٌ ومقالاتٌ تحت هذا العنوان.

وقد كتب الأُستاذ أَنطون مقدسي: «عذراء الصوفانيّة اختارت دمشق نقطة انطلاقٍ ثابتةً لتبدأ رحلتها التي لم تنتهِ إلى العالم.. وتشكّل، اليوم، رسائل الصوفانيّة التي أَملتها مريم، ومن ثمّ يسوع، تصوّرًا كاملاً لما يجب أَن تكون عليه الحياة المسيحيّة في هذه المرحلة من تاريخ المنطقة والعالم».

وقد جئنا على ذكر بعض ثمار الصوفانيّة من أَشفيةٍ، واهتداءاتٍ روحيّةٍ، ومن صلاةٍ ما زالت مستمرَّةً ومنتظمةً منذ سنواتٍ، ومن ساعات سجودٍ وقداديس أُسبوعيّةٍ، تقام في

بيت العذراء. وغالبًا ما يصلّي، جنبًا إلى جنبٍ، أمام صورة سيّدة الصوفانيّة، مؤمنون من مختلف الطوائف المسيحيّة، أو، أحيانًا، من دياناتٍ أُخرى.

ولا ريب أنّ من شأن ظاهرة الصوفانيّة أن تؤتي مسيحيّي الشرق دعمًا هم بأشدّ حاجةٍ إليه. وهذا ما عبّر عنه الأُستاذ مقدسي أبلغ تعبيرٍ بقوله: «إنّ بقاءَنا، نحن مسيحيّي الشرق الأدنى العربيّ، كان يكون ميؤوسًا منه، لولا أنّ العذراء مريم اتّخذت منه مسكنًا لها».

وبما أنّ ميرنا كُلِّفَت بالانطلاق وتبشير العالم «**الذي عمّ فيه الفساد**» فقد جابت معظم بلدان العالم، وشهدت بما رأت، وبلّغت ما سمعت، فأصبحت «الصوفانيّة صوفانيّات»، بحسب تعبير الأُستاذ مقدسي، الذي أوضح، أيضًا، أنّه «حيثما تُرسل ميرنا لتؤدّي الرسالة في أيّ مكانٍ من العالم، تنشأ صوفانيّةٌ أُخرى، تتجدّد فيها الظواهر ذاتها، كما في البيت الأُمّ: صلاة، زيت، اهتداءات، إلخ، وقد باتت الصوفانيّة متواجدةً في معظم بقاع الأرض».

وفي مدنٍ كثيرةٍ عبر العالم، تأسّست «جماعات صلاة» باسم «عائلة الصوفانيّة»، تبثّ روح الصوفانيّة وإشعاعها، في فرنسا، وكندا وإنكلترا، ومصر، ولبنان، وكاليدونيا الجديدة، وأستراليا، والعديد من البلدان الأُخرى.

وقد أمسى واضحًا أنّ الصوفانيّة ليست حدَثًا عارضًا، بل هي تُعِدّ لمستقبلٍ أفضل. وقد رأى الأُستاذ مقدسي «أنّ الصوفانيّة مشروعٌ ذو بُعدٍ، بل بعدٍ طويلٍ جدًّا».

فقد أعلن الربّ وأُمّه أنّهما يبتغيان تربية جيلٍ لهما، وتثقيف إنسان الصوفانيّة، الذي يحيا ويعلّم «كلمة الوحدة والمحبّة والإيمان»، إنسانٍ يخصّ يسوع ومريم، لا يسعى إلى إرضاء البشر، ولا يحزن بسبب عدم رضاهم، إنسانٍ لا يكره أحدًا لكيلا يُعمي الكره قلبه عن حبّ الربّ، بل يحبّ الجميع مثل حبّه للربّ، ولا يستثني من حبّه حتّى الذين أبغضوه وافتروا عليه، وشهّروا به، وبذلك يتمتّع بالسلام الحقيقيّ، أي بإيجاز، إنسانٍ يعود إلى فجر المسيحيّة، وإلى أصالتها الصافية.

ويقول المقدسيّ، أيضًا: «الصوفانيّة مشروعٌ إلهيٌّ... هدفه خلاص الإنسان، أو عودة الإنسان إلى الله»، والإلهيّ لا يموت ولا ينتهي.

وكتب الأب الإيرلنديّ فيتسپاتريك: «لن أدهش إذا ما أصبحت سيّدة «الصوفانيّة»، بمرور الزمن، معروفةً ومحبوبةً مثل سيّدة «لورد» وسيّدة «فاطمة» أو سيّدة «مديوغورية»، ولا غروَ في ذلك، فجميعها تتدفّق من نبعٍ واحدٍ، وجميعها من صنع يدٍ إلهيّةٍ واحدةٍ، وجميعها تهدف إلى غايةٍ خلاصيّةٍ واحدةٍ».

المطبعة البولسية
جونيه - لبنان

الآب اختارها أُمًّا لابنه الوحيد، الذي تأنّس كي يفتدينا، والابن أرادها شريكةً له في الفداء، وأمًّا لنا، ومنذئذٍ ما فتئت مريم دائبةً على النهوض بهذه المهمّة المزدوجة، من خلال مداخلاتٍ وظهوراتٍ بدأت منذ فجر المسيحيّة، وواكبت كلّ تاريخها، وتسارعت وتيرتها في القرن العشرين المنصرم.

يسوع قال في أحد الظهورات: «قديمًا أنقذت سفينة نوح العالم، واليوم أمّي هي سفينة الخلاص». والعذراء التي قالت لابنها في قانا: «لم يبقَ لديهم خمرٌ» تقول له اليوم: «لم يبقَ لديهم سلامٌ، ولا حرّيّةٌ، ولا حبٌّ، ولا رجاءٌ». ولنا تقول: «افعلوا كلّ ما يقوله لكم ابني، في الإنجيل، فيكون لكم الخلاص، وتكون لكم الحياة».

بظهوراتها تشيع الأمّ السماويّة في نفوسنا اليقين بأنّنا لسنا وحيدين عزّلاً، في عالمٍ ينذر بأفدح الرزايا، بل إنّها، هي وابنها، إلى جانبنا، ولا تقتضي منّا سوى ارتياد مناهل الإنجيل، والتزام التوبة الصادقة، والإيمان المنيع، والرجاء الواثق، والصلاة النابعة من القلب.

وهي تكلّف أشخاصًا تختارهم وفق معايير خاصّة بها، تبليغ رسائلها إلى العالم، ترسم من خلالها معالم الخلاص، مرشدةً إلى من هو «الطريق والحقّ والحياة».

الظهورات هي تاريخ السماء على الأرض، ورباط الإنسان بالله، وشاهدٌ على حضور اللامرئيّ في المرئيّ، والماورائيّ في الأرضيّ.

هذه السلسلة تروي أبرز الظهورات في مختلف أرجاء المسكونة على امتداد تاريخ الكنيسة، وتورد مقتطفاتٍ مستفيضةً من رسائلها، ريثما تكتمل في مجلّدٍ جامعٍ.

منشورات المكتبة البولسيّة
جونيه – شارع القدّيس بولس – ص. ب: ١٢٥
هاتف: ٩١١٥٦١ – ٠٩/٩٣٣٠٥٢ – فاكس: ٠٩/٦٤٣٨٨٦
بيروت – شارع لبنان – هاتف: ٠١/٤٤٨٨٠٦ – تلفاكس: ٠١/٤٤٤٩٧٣
زحلة – شارع سيّدة النجاة – مقابل مطرانيّة الروم الملكيّين الكاثوليك – تلفاكس: ٠٨/٨١٢٨٠٧